

# الأعمال الشعرية الكاملة

## محمد عفيفي مطر

(الجزء الثاني)

- ملامح من الوجه الأمبيذوقليسي
- رسوم على قشرة الليل
- كتاب الأرض والدم
- شهادة البكاء في زمن الضحك

وزارة الثقافة



## سلسلة الأعمال الكاملة

تصدرها  
الهيئة العامة لقصور الثقافة

رئيس مجلس الإدارة  
د. أحمد مجاهد  
أمين عام النشر  
سعد عبد الرحمن  
مدير إدارة النشر  
على عفيفي  
الإشراف الفني  
د. خالد سرور

• هيئة التحرير •  
رئيس التحرير  
سعد عبد الرحمن  
مدير التحرير  
محمد الفقى  
سكرتير التحرير  
إبراهيم منصور

• الأعمال الشعرية الكاملة  
محمد عفيفي مطر (الجزء الثانى)  
الهيئة العامة لقصور الثقافة  
القاهرة - 2010  
13,5 x 19,5 سم  
• تصميم الغلاف: أحمد اللياذ  
• رقم الإيداع: ٢٥٠١٧ / ٢٠١٠  
• التقييم الدولي: 427-417 978-9  
• المراسلات:  
باسم / مدير التحرير  
على العنوان التالي: ١٦ شارع أمين  
سامي - قصر العيني  
القاهرة - رقم بريد 11561  
ت، 27947891 (داخل 180)

• الطباعة والتنفيذ:  
شركة الأمل للطباعة والنشر  
ت، 23904096

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن توجه الهيئة  
بل تعبر عن رأى وتوجه المؤلف في المقام الأول.

• حقوق النشر والطباعة محفوظة للهيئة العامة لقصور الثقافة.  
• يحظر إعادة النشر أو النسخ أو الاقتباس بأية صورة إلا بإذن  
كتابى من الهيئة العامة لقصور الثقافة. أو بالإشارة إلى المصدر.

# الأعمال الشعرية الكاملة

---

محمد عفيفي مطر

---

obeikandi.com

ملاح من الوجه

الأمبيذوقليسي

obeikandi.com

## مدخل

- برزت على الأرض رعوس كثيرة بلا رقاب، وهامت أذرع منفصلة بلا أكتاف، وزاغت عيون وحيدة تشتاق إلى رعوس، وهامت أطراف بلا أنيس.
- وتولدت مخلوقات كثيرة لها وجوه وصدور تتلفت إلى جميع الجهات، حيوانات لها وجه البشر، وبشر لهم رعوس الحيوانات، ومخلوقات امتزجت فيها طبيعة الأنثى بطبيعة الذكر.
- سأعلمك كيف تصد قوة الرياح الدائبة التي تهب على الأرض وتقتلع الزروع، وكيف تحول سير الرياح إذا شئت، وكيف تجعل الموسم جافا بعد غزير المطر، وكيف تحول الصيف الجاف أنهارا تفيض من السماء، وكيف تبعث الميت من العالم السفلي إلى الحياة.

- ينبغي أن تقيم على وجهها ثلاث مرات خلال عشرة آلاف موسم بعيدا عن صحبة المنعمين، لأنها نشأت في الفترة التي تسود فيها صور الكائنات الفاسدة، تلك التي تنتقل من طريق شاقة في الحياة إلى طريق أخرى شاقة، فالهواء الجبار يطردها إلى البحر، ويلفظها البحر إلى الأرض الجافة، وتطردها الأرض بعد ذلك إلى الشمس الملتهبة، ثم تطوح بها الشمس في أعاصير الهواء. ويتلقاها عنصر عن عنصر، ولكنها تطردها جميعا. إني أنا الآن روح من هذه الأرواح، مطرود وهائم بعيدا عن الالهة لاني وضعت ثقتي في الكراهية المضطربة.

أمبيذوقليس



## صوتان عن الحق

الحق قد يقال مرتين

فمرة يقوله العراف

ومرة يقوله السيف

\* \* \*

يقوله العراف

منفجرا بوهج الخرافة

ممتلئا بطحلب السيمياء والعرافة

مطلسما في عقد الأعشاب والحروف.

يقوله مضببا في الرمز أو مغمغما في كتب التعزيم

أو راقصا مخترقا حواجز التحريم.

\* \* \*

يقوله السياف  
ملونا في ظلمة الإباحة  
يقوله في نُذُر المطاوعة  
وفي شرائع الدوائر المربعة  
وفي طقوس الكرم الزَّرَى أو مصيدة السماحة.

\* \* \*

الحق قد يقال مرتين  
فمرة بموّه العراف  
مطوّحا به على منابر الجرائد المهترئة  
ومرة يقوله السياف  
ممزقا في الوضم الليلي  
أو مغتسلا في دمه البري  
أو مغتربا متزلقا علي حبال النفي  
أو منتظرا في السرج المنطفئة  
والحق قد يقال مرتين...

## عُقْمُ الاخضرار والتجسد

أُمِّي وَلَدَتْنِي ذَاتَ مَسَاءٍ  
فَانْسَرَبْتُ رُوحِي فِي ضَوْءِ الْمَصْبَاحِ  
وَهَرَبْتُ خِلَالَ الظِّلِّ وَلَوْنِ الْمَاءِ  
وَدَخَلْتُ عَبِيرًا فِي ذَرَاتِ الرِّيحِ  
وَلَبَسْتُ قَمِيصَ الصَّمْتِ  
وَأَكَلْتُ الْكَعْكَ الْأَسْوَدَ فِي أَعْرَاسِ الْمَوْتِ  
\* \* \*

أَكْرَهَنِي الْعَالَمُ أَنْ أَتَجَسَّدَ فِي عَيْنَيْنِ  
(عَذْبَنِي أَنِّي أَمْلِكُ هَاتَيْنِ الْعَيْنَيْنِ:

عيناي السوداءوان  
في ليل القبو الدامي شباكان  
بئران انسكبت في أغوارهما النيران  
وتعارك صدرُ الأرض ونصلُ الشمس)  
هجرني موسيقي الأفلاك  
فهربتُ إلى ليل الأسماك  
ودخلت البحر الأبكم والأغوار  
فتراكم فوقى الموجُ، هربتُ إلى الأشجار  
عصفورا مشتعلا بالنار  
فتهدّم فوقى سقفُ الهاوية الزرقاء.  
جَسَدَني الرعبُ الأخرس في قدمين  
(عذبي أبي أملك هاتين القدمين:  
قدماي الضامرتان  
في طرق السعي الباطل مركبتان

واحدة تصعد في الطرق الجبلية  
والأخرى تقوي في القيعان)  
أكرهني أن أتجسد في وجه مهجور  
أكرهني أن أترقص فوق حبال الصوت  
فانفضح الراقصُ حين تعرّى تحت النور...

١٩٦٦

## في المعرفة المرة

إنني أدخل - كالظن - إلى أرواحكم  
وإلى أجسادكم  
أبدأ الرحلة ما بين العروق المعتمدة  
علّي أنظر ما يشبه شمسي المظلمة  
علني أنظر ما يشبه أعراس الردي في الزحمة المنهزمة..  
ربما قابلي الليل الذي يُجهض في كل صباح  
ربما يُسمعي السيف حوار الدم في  
اللحم الغريض المستباح.

\* \* \*

عدت منكم بعد ان دوّخني الليلُ وأعماني الطواف  
وارتوت روحي من البؤس الجبليّ الرهيب  
لم أجد غير الثمار الحجرية  
واللغات الحجرية...

## لو كنت شاعرا

لو كنتُ شاعرا يا سادتي القراء  
لاغتسلتُ في أحرفي قوالبُ الأشياء  
وانفلتتُ يدي المخبأة  
بين السطور فجأة لتنقش المياه بالدماء.

لو كنت شاعرا لمتُ جائعًا  
لكنني اتيت من قريتنا السوداء  
ولم أعد أذكرها  
كأنني ما جعت تحت كرمها الثقيل بالثمر  
كأنني ما عشت في حاراتها عريان ظامئًا

في موسم المطر



كأن أُمي لم تكن عارية الثديين في دروبها  
تطعمها سنابلُ الترمُل الطويل  
وحينما ينهشني تقلُّبُ الحقول في الضمير  
فإنني لا أستطيع أن أعود خطوة إلى الوراء ...

لو كنت شاعرا يا قريتي البعيدة  
لانتحرتُ قصائدى كراهةً للأوجه البليدة  
أو هربتُ حروفها من غيب الجريدة  
وطعمتُ صداقةَ الهواء.

لو كنت شاعرا لاخترتُ أن أمر في مزلق الأعراف  
لكنه السيف  
لكنها تجارة الأصداف  
وراحة الضمائر المبررة

هذا تخبطي في الكون والفساد  
لو كنت شاعرا ما انغرسْتُ خطاي في محابر الرماد  
لكنني أموت  
تشنقني قصائدی في خيط عنكبوت...

## وطن لمن يشاء

رأيتُ في عينيكِ شجرَ الأمومة  
رأيتُ فيهما سخاءَ الطمي والسحابِ المعتمِةِ الرحمةِ  
سمعتُ صوتك المنقوع في اللبن  
مختمرا في عتمة الخرافة  
والشعر والعرافة.

بكتُ إليك - في دمي - الأهلَّة القديمة  
والقمر الصديء والفصول.

رأيتُ وجهك الممسوح يا أبَّا بلا أبناء  
لا راضيا ولا مقطِّبا

فابتهلت سنابلي المحترقة  
أن تَبَّ المضيِّع اللطيمَ من أسمائك الخضراء  
علامةً ونسبا  
وشارةً ولقبا.

طعامكم يقتلني  
والجوع في جبلي يبعثني  
الجوع شارتي ولقي  
علامتي، أمجاد آبائي، قبيلتي ونسبي..

١٩٦٦

## صوت الخيبة

دخلت غابة الكون وغابة الفساد

فعدت دوغما عينين

دخلت غابة الحروف والفواصل المزخرفة

فعدت.. في يدي جمجمتي المخوفة

دخلت غابة الضمير

فعدت في دمي خناجر القصدير

دخلت في عباءة الأحجار للمدينة

فانفتحت أبوابها الحصينة

وحيثما استدرت للرجوع

تشبثت أصابع الأحجار

بما ارتديتُ من مناسج الأسفلت

وما ارتديت من خلاخل الأشعار

وما رضعته من لبن الهزيمة

وانطبقتُ مداخل الأزقة القديمة

تقول لي: تعال

فالجوع في القرى وفي المدينة

\* \* \*

الجوع في القرى معشوشبٌ يخضرُّ في حشائش الحقول

يصفرُّ في السنابل

يسودُّ في لفائف الأطفال والوجوه

يبيضُّ في حوائط القبور

يطير حينما تغتسل السماء

ملونا في قزح الأصائل المطيرة...

\* \* \*

الجوع في المدينة  
يصفرُ في انسكابة الجدائل  
يخضر في المزابل  
يسود في حدائق الأسفلت والسكوت  
يبيض في القصائد المختة  
يطير في شوارع الزجاج والأحجار  
ملونا في الصحف الفقيرة  
معطراً بما يفوح من جوارب الاموات في الظهيرة..

\* \* \*

لقد وُلدتُ ميتاً  
ونفختُ في صورتي الفصول  
وغسلت ملامحي بالجوع والحقول  
فجئتك لكي أقول  
أو أموت لو ظللت صامتاً..

١٩٦٦

## مناظر صغيرة من ساحات مدينة ميتة

١ - المجنون المتجول

حذاءؤه المطاطُ، والشوارعُ الأسفلتُ، والنهار  
نقالةٌ من نار

تحمله يحملها، تقبله ترفضه الأشياء

يغطس في معاجن الأسفلت، يطفو في

الشوارع الصارخة البكماء

يخطب في أروقة الظهيرة

يُخرج من جيوبه صحيفةً ينثرها في الزحمة الأجيّة

يعارك الهواء.



قال - وقد سأله - : انتزعت جيفتي من كتب الحقوق  
مختبلاً منفجر الراس مضيقاً ما بين ممكن ومستحيل  
منعصراً تدلّقي الرياحُ في مدينة الشقوق..

## ٢- الانتحار ثرثرة

يفضحنا النهار لو تسلّقتْ أكتافنا من رغبة  
الشمس فقاقعاً أو رفعت ثيابنا أصابعُ الهواء  
يفضحنا لو غُبّرتْ أقدامنا في طرق الأمام والوراء  
تأمرنا ضراعةُ النطقة في الأشياء  
أن ننزوى في الليل أن ندخل أيّ مشرب.. فتلتقي  
المسالك التي تقاطعت.. يفضحنا السكوت..

\* \* \*

الليل حينما زوّجَ بالفجيرة  
أولدها مدًا من الحبائل اللفظية التي تصعد عاليًا فعاليًا  
ليدخل الأبكمُ في الأصمّ،  
يصبح الوباءُ نكتةً في رحم الذريعة

### ٣- المغنيّة الشمطاء

في وصوتها دياثةُ العجوز  
ومدّها للألف المهموز  
غباوةٌ تسفح من صدورنا غمغمة الطبيعة  
تمسخ فينا صوتنا المنقوعَ في الرعب وفي خابية الفجيرة  
تسوقنا في العُرس الغيِّ  
أو تطردنا بصوتها من شارع لشارع بلا انقطاع..

\* \* \*

النهر والشواطئ التي تدوسها حوافر البروق  
والشاعر الذي يجلد - في أشعاره - الأسماع  
والمطربةُ الدهرية

رمحان غائران في العروق  
أغنيةٌ تطردني من ساحة لساحة  
تشنقي في الليل والنهار..

#### ٤- تنويع الشاعر

رأيته بالشارب المهدول  
ووجهه المصفرّ والبشائر التي تبيضُ في  
مفرقه، وصوته المخنث المهبول  
قلتُ له - من غير أن أقول -  
أأنت من رجونا، انتظرنا ان يكون رحمنا الأول في المدينة

وصوتنا الأول في الصمت، وغنوة دامية حزينة  
تحملنا وتحمل القرى التي ترقد في نقالة الفصول!

\* \* \*

هذا اغترأنا في الطرق الملعونة

يدور في سامة العينين

مستجديا شعائر التتويج

بلكنة غريبة ترقص في اللسان

بلفظة امتهان

للشعر - حينما يدور في أفواهها - وللبراءة

الريفة المقدسة.

\* \* \*

رأيته تحت تأرجحات الضوء والظلال

منطفئاً إذا تلكما

مشتعلاً إذا تلصص التساؤل الماكر عن

حقيقة المملكة التي يجلس فوق عرشها

وعن حقيقة الشارة والطياس المزخرفة

وعن خبائث المعادن المزيفة

كيف تشكّلت في يده المرتجفة

مبخرةً ووصولاً.

\* \* \*

الصمت في أزمنة الحيرة والخناجر

وجثة القصائد القديمة

يسحبها وراءه من مقعد لمقعد

من ضحكة لضحكة

من غضب مفتعل لصيحة تخفي وراءها ديمومة التآمر.

\* \* \*

رأيته تحت تأرجحات الليل والظلال

مطأطأاً يلبس تحت جلده عباءة الطاووس

مستجديا في زمن الفراغ والطقوس

كرامة السخرة والإهانة

\* \* \*

أنا احترفت في قصائدي قافية التأبين

ألطم خديّ أمام هودج العرس الذي

يقام حينما تنتحر العروس..

١٩٦٦

## الشاهد والقضية

مجموعة من الرجال والنساء:

في الزمن المنكشف العورة والمختبئ الضمير

تصلبنا برودة السرير

تقتلنا طفاوة الرغوة في العصير

تغتالنا تحية الصديق

أو ترجمنا حدائق الطريق

أو تميئنا مرضعةً بنديها الأجير

نستبدل اتهامنا حتي تضع بيننا الجثة والقضية

ويلبس القاتل ما خلفه المقتول من ثياب

وأنت.. يا محترقا بجبك القاتل والمقتول

قدم لنا وقائع الشهادة

من قبل أن تفتقد اللسان أو تحملك الأكفان..

#### الشاهد:

أقم الصفاء والعكارة  
والنَّهْرَ الذي يفيض كل صيف  
بالعقم والخسارة.  
أقم الفاكهة التي تحملها الزروع  
لأنها تملؤنا بالجوع.  
أقم الظلمة والأضواء  
والصحف الغبية الأجيّة  
والكتب التي تولد في مخادع الدعارة.  
أقم الافلاك إذ تدور  
والشمسُ لم تطلع علي سقوفنا  
والأرض ما تزال واقفة.



أَتهَمُ القضاةَ والقاعةَ إذ تَغصُّ بالشهود

أَتهَمُ البيارق المرفوعة

من قبل أن أقفز في فُوْهة البركان

أَتهَمُ الإنسان

لأنه منسحق ممتلئ بالشحم والهوان

والضحك الجبان

ممتلئ - من كتب التبرير والكهانة -

بالرعب والخيانة

من قبل أن أموت

أَتهَمُ السكوت

أَتهَمُ السكوت

١٩٦٦

لو

لو أني قابلتكم في البعث والنشور  
مرتعشا ما بينكم في نُزُلِ الأعراف  
وَحَجَلا بما كتبتموه في دفاتر الشعاف  
وضائعا بين المناكب القاسية الغليظة  
إذا تراحمت فوق السراط أو تضعضعت  
من شهوة العبور

لعدت فوق الأرض  
ممتلئا بالرفض والقصائد المحرمة  
ممتلئا بالحب للمنازل الخاوية المهدامة..

## شكوك

صوت:

يا سفري الضرير

في منجم الكيمياء والتحول الأخير

تنحلُّ في دمي روابط الأشياء

وترقص العناصر المفككة

تنقلب الفروع في الجذور

والنار ترتمي ثمارها في الكرمة المحترقة

والماء في دمي يميت بذرتي المنفلقة

يشتعل الهواء ثم يحبل الرماد

لكني أنتظر التحول الأخير

كي تأخذ المناجم المعتمدة المشتعلة

كراهيي للعالم المرير

فاقتلعي يا كيمياء الأرض - من دمي - احتقاري

للشرفانين في جواربي

وللحياة بعدما تعكرت بالأوجه الممسوخة الملونة.

مجموعة من الرجال والنساء:

لا تبتئس يا أيها المقتول

فالشمس في مناسك الافول

تموت كي تولد - في طقوسها - الفصول

لا تبتئس فالعود في الوصول.

صوت:

العودُ لعني المؤبدة

والريحُ خطوتي المقيدة.

يا لعنيتي إذا وُلدتُ في شرائع الجسد  
يا لعنيتي إذا أسكرني تجدد الخليفة  
فعدتُ في طرائق الطفولة المبددة  
واغتسلتُ ذاكرتي.

مجموعة من الرجال والنساء:

ينغرس المقصُّ في قماشة الحياة  
فالقِطْع من هنا والوصل من هناك

صوت:

أخاف أن أعود في عناصر الهيولي  
ممزَّقًا بالنار والرطوبة  
والعقم والخصوبة

علي سلام الصعود والمهبوط

ترعيني مدارج الخليط

مجموعة من الرجال والنساء:

ماذا حصدت من سنابل الألم

حتى تموت هاربا؟!

صوت:

يؤلمني تجسدي

تخونني الدماء في يدي

تقتلني فضيحة اللغة

تصلبني شراسة احتقاري

للشرف الفانين في جوارى

يضحكني الحديث صادقا وكاذبا.

مجموعة من الرجال والنساء:

لعله انتظارك الطويل

للسنة الفادحة الكثيرة.

صوت:

وما أفاد العالم القديم!!

لقد جري من رحم السلام

محترقا منتظراً، تأكله تناقضاته

فاحتقرت أطرافه وانقلبا.

## المسافر

مجموعة من الرجال والنساء:

بعينيك يشتعل القمر الأخضرُ  
وفي شفّتك تجوس الأغاني  
وتحترق الكلمات الزواني  
وأنفاسك المشعلات الرحيمة  
تشق محاريثها اللهبية قلبَ الهزيمة  
لينبت فيها الدم المزهرُ  
وفي قدميك عبير القرى والملوحة،  
في إبطيك تراب الدجى والنهار



وفي الشَّسْع من نعلك الغريبيّ تواريخُ ثلج و نار  
ونحن هنا - عند باب المدينة - نقرأ في كتب الإنتظار  
ونغزل منها فضائحنَا

نتقلّب أو نترقب بارقة من عطاء  
ونرغب وجهك.. علّك تأتي إذا الصيف جاء  
فتمنحنا شارة الطمّث،

تمنح أعجازنا الخشبية روح الذكورة،

تمنحنا من قصائدك اللهيّة أو من

طقوس الكهانة بعض الشرار

ونحن هنا - عند باب المدينة - جئناك مستقبلين

لنُسمِعنا عن رحيلك في طرقات المجاعة ليلاً

وفي طرقات الخيانات طول النهار،

وعما لبست من الرقع السنوية والطيلسانات،

عما تداوله الصهد والثلج من وجهك المتفجر

بالضحك المتألم والإكتئاب الفرح

لُتسمعنا عن حكايا الدماء التي طرحتها

خيول الشرائع

فانسكبت تتلوى وترقص من ساحة لرصيف لباب..

**المسافر:**

أتيت في عباءة الكهولة

معلقًا في حافر الرياح ضائعًا

أركض تحت قمر الطفولة

مجنّدًا في شجر مشخّصًا في حائط مهديمٍ

وفي التجاور الذي يجمع - كي يفرق - الأشياء

أرقص في تداخل التخوم

أعبر من مملكة لمملكة..

في هذه المملكة - السطوح

حملت من هزائمي تمائم الفتوح:

الحبرَ في الدواة

والرعبَ في دوارق الغسل،

ولغةَ التخليط في الصلاة

والقلم الذي اقتطعته من قصب الجروح

أدقّه في بيضة العالم أو في رحم الأشياء.

في هذه المملكة - الأشياء

تدّرعُ الصخرةُ والمياه

تدرع الغيمة والرياح والزرقة في السماء

بالصمت والقشرة والخضور

ينفجر امتلاؤها عن بذرة الفراغ

وبانفلاتها الموحش في دوائر المصادفة..

دخلت عبر سبعة الأبواب

سمعت في حنجرة الجوامد

نزوعها الأليم للتوالد

سمعت في الركاز

الصرخة - الحصان والمهماز

وقفت عند بابها المصهور

مغتسلا بالنار

منتظرا أمانة العبور

فطلعت من جسدي رفيقي وزوجتي الضاحكة العينين

قصيدة.. وحملة سريرتي أجنتي

لكنني أقول ما رأيت

وما رأيته مختلط مسحور

مستتر كالشمس..

## بكائية

يا قمر الطفولة القديمة  
هجرتني، حولتني صبية ناهدةً سقيمة  
بالغنوة الباكية المبتهلة  
للحب والتخاصر الراقص والأبناء  
يطلع تحت النهد  
عذابها الأبيض وانتظارها للشفة الرحيمة  
واللغة العذراء.

يا قمر الطفولة  
حولتني في الطرق المأهولة  
شجيرة تثقلها الفصول بالعطاء

جعلتني ألبس ثوب الصقر  
أطير في غمامة داكنة، أنسج بالأمطار  
أغنيتي، أنتظر الفرار  
من قفص الرياح نحو الشمس.

حولتني في البحر  
عينين تنظران في العمائق المظلمة الرهيبة  
وشفةً خرساء.

حولتني قنيصةً مطوية الجناح  
تخونني الرياح  
ترقد في الجراح  
الشمس والكواكب المحتجة  
والغيمة المشتعلة

ومطرُ الأغنية الغريبة.

وهبتني فجأةً الميلاد

من رحم الرماد

في أرضنا - المقبرة الباردة العروق.

يا قمر الطفولة

أبكيك في طينتنا المجبولة

من غرين الموت ومطر الحياة..

## أترك لكم

أترك خُفِّيَّ على الرمالِ

خلاصةَ المقالِ

علامةٌ على حوار الكون والفساد

وشارةٌ من جوهرية الحب الذي يفصل

والكرامة التي توصل

والفجاءة التي تسوقها الدهشةُ بارتحالي.

أترك في قصيدة الطبيعة

طفولةً ما عشتها وقمرا منسحقا في فلك الفجيعة،

يمامةٌ تسرقها من أضلعي سنابل الأحزان.



أترك في الرماد

شجيرة من غبطتي المحترقة

والشمس في سمائها الضيقة الوسيعة

أتركها وديعة معلقة

في مخلب الظلمة والسكوت.

أترك في العبور

خُفيَّ.. فوق ظلمة العصور

علامةً على فجاءة ارتحالي

- في الأرض - نحو النور..

## مرثية إنسان الشمس القديمة

كل شيء كان يُستَضَحُّ مني  
كانت الأرض جنينا في دمي لم يبلغ التاسع،  
والشمسُ وأقماري الخبيئة  
كان في قلبي احتدامُ الشجرة  
واختمارُ الطمي والشعر - الطلوعُ  
كنت - مما يملأ القلب - أجوع  
وأغني للمياه المسكرة  
علها تطرحني زنبقةً في عروة الأرض التي تطلع مني  
كنت من جي ألفُ الشرقة  
وبها كنت أصلي لأموت

قبل أن يحملني مني غرابُ العاصفة  
وانسحاقني في مراسيم السكوت..

\* \* \*

كنتُ ممتدَّ العروق  
نازفاً أسبح في ليل السديم  
كنتُ فيه روحه الحرة والمحور والدائرة المشتعلة  
و المدارَ الفوضويَّ المتحول  
كنتُ أبني - بين ما أخفيه في القلب وبين العالم المقبل -  
جسراً للتواصل

فأنا أفطر بالصبح بغابة  
أغدَى بسحابة  
أتسلى بجوار البرق والرعد اللذين استترا  
تحت الرابة  
ألبس الأفق علي رأسي شالا وأدير العاصفة  
خاتماً في أصبعي،

والبحرَ خفًّا، والكتابة

معجما تصرخ فيه لغة الخلق وتنشق وجوه الكائنات .

آه يا أرض النعاسِ الأبدي

أطفئتُ نارُك، حطت في القلوب الحجرية

والأغاني الذهبية

بومةُ الملح التي تولد من بطن السكوت..

\* \* \*

ها أنا.. مختطفٌ يحملني مني غراب العاصفة

مبعداً ايأي عما كان في "الكأؤوس" مني

فأنا في طرق الغربة أستجدي اللقيمات المخيفة

وأغني من عذابات التخارج:

آه يا مملكتي المبتعدة

أنت في القلب وبوابة قلبي موصدة

وأنا أهرب مني

عابرا في ظلمة الأعين والأوجه،

مسجوناً بقلب الكائنات الفاسدة

أتسلى بانتظار الكذب الأسود أن يفقس في عش الصحيفة

ميتاً في الليل محمولا على نعش النهارِ

داخلا في الريح أعراف العناصر

فأنا ملحُ البحارِ

وحديدُ السرج والمحراث، والطينةُ في أرض المجاعة

ونحاسٌ في سيوف الحرس المقبل من كل طريق

وأنا نار الحريق

ومدار القمر المعتم والشمس الكثيرة

وأنا الطبل الذي يُقرع في كل كتيبة

وأنا زهر الدم الطالعُ من كل قتيل..

\* \* \*

طفلي.. يا طفلي المشتعلة  
جَمعيني بعد ان بددني الليلُ الطويل  
جمعيني من فم الأشياء والظلمةِ  
صبي نارك الأولي بروحي العاشقة  
وهبيني ولدا  
ترقص الطينة فيه بالمياه الخالقة..

١٩٦٧

رقصة في آخر الأعياد:

أغنية لمجموعة من الرجال والنساء

ضُمُوا الأرحام

في امرأة واحدة،

واحتفروا من قنوات النطفة نhra يعبر كل تخوم الأرض

وتخلّق في سنوات الصمت

يا طفل العالم والإنسان

وارضع من ثدي "الشموفوريا" الطافح بالألوان

كلّ خبزَ فصول العالم،

وارقص في بندوق السنة الكبرى،

واركض مكتملا مقطوع الجذر

ومجهول الأفياء

وتوحّد تحت رياح الأرض الزانية البكماء

كن نخاسا عبداً

ملكا مملوكاً

كرسيّ العرش ومملكةً للغالب والمغلوب

وتقلبُ بين الجيف الحية حتي تولد من أحشائك

وازرع نفسك حتي تأكل من أثمارك

وانزع عنك قميصَ الإرثِ

ودوّخْ نفسك بين عناصرك المخضرة والجدباء

وتقدّم في أعراس الحجر وحيدا

واغسل عينك من رمل البرية

وتكلّم لغة واحدة دموية

يتقلبُ بين مقاطعها التكوينيّ

وتُخرس تحت حوافرها لهجاتُ الأرض

وتدبُّ خلال خوافي أحرفها أسماءُ أخرى للأشياء

فيموت العالمُ، يولد، يرقص في شفّتيك..



## كتاب المنفى والمدينة : قصيدة وقراءة

القصيدة ١٩٦٨ ، القراءة ١٩٧٥

- ١ -

الأرض - كالجثة بعد الدفن - ممدودة  
أرخت يدا صفراً ووجهها فارغاً وجديلةً  
بالرعب معقودة

واستسلمت للنوم  
في حجر ضبّ مليء بالنخل والأشجار  
وتحجرت واستسلمت للنار  
فارتدت النار عنها..

لم تطهر وجهها المسوخ  
واستسلمت في النهر للتيار

لا الماءُ أغرق ما في الصدر من أسرار  
ولا ارتمي احمرار الطمي في العينين  
من بعد ما اسودَّتَا بالرعب أو بالعار  
وبعد ما ابيضَّتَا باليأس والإنتظار.

وتكسرت جسرا فجسراً.. وارتمت في المحيط  
لا الملحُ جفَّفَ ما في ثديها المقطوع  
من ذكريات الشفاه

ولا تراقصت الأسماك في الرحمِ  
ولا تفجر موج البحر في القدمِ  
بشهوة الرقص تحت النهار  
حتى تعيد انفتاح الشفاة والعينين  
في الرعد والأمطار.

وجئتها.. بين زفير العرس والإختصار:  
وضعتُ كفيَّ على بطنها

فصار حيي لها تعويذة الإختمار  
وصار سخطي عليها سفينة مشقوقة

ما بين زيت ونار

وصار صوتي ابتهالاً غاضباً وانتظاراً

لسنبلات الجروح

وصار حيي نزيفاً وحربةً تشق لحم الهزيمة

تحفر في قلب التخوم القديمة

قبراً، تشق بطن الرياح..

وضعتُ كفيَّ على ثديها

فناولتني خريطة أبدأ منها الفتوح

وناولتني بيرقا للموت (أم للقيامه؟)

قبلتها قبلة للسّر، قبلتها للتعارف

مدت يديها..

وصارت ما بين كفيَّ قوساً عصيةً مشدودة..

الأرض مملكتي الضائعة  
الأرض مملكتي المستعادة  
الأرض ضلّةٌ روحي وعصيانها  
الأرض سجادة للعبادة.  
الأرض مملكتي.. كنت في  
طينة الأمر بين المياه وبين  
الظلام الإلهي مضطجعا  
أَتَنْظُرُ صلصة الجرس -  
رشح الجبين  
وبين الرؤى والنعاسِ  
تخيلني امرأة وتكاشفني  
في فضاء التذكر  
كان العقابُ الإلهيُّ  
يرفع أجنحة الضوء من  
آخر الغمر شيئا فشيئا  
فأغتصب الماء والطين..  
وامراتي تتكشف تحت

فضاء التذكر..

وقتُ النبوة يفتح أوراقه ، يستدير

على أول الليل والخلق يصعد

تحت

جناح العقاب الإلهي..

تأمرني امرأتي بالزيارة..

والسيد

المستقر على نخلة الشمس يفتح

كفيه لي : يا هلا..

الأرض مملكتي والمفاتيح مكتوبةُ

(كنت بين الرؤى والنعاس)

يؤرخ لي شجرٌ وغيومٌ هي

الخطواتُ

المليئةُ بالماء ، مملكتي الأرض

سجادةٌ وخيول من الحلم ترعى..

-٣-

أراك يا نسرا من اللهبِ  
تحوم فوق الرأس  
تشير لي، والأرض غاباتُ  
وأبنية من الحطبِ  
والنارُ بين الضلوع..

-٤-

فلتقفى.. يا ساعةً رمليةً  
حتى أري آخر الأرض الشمالية  
حتى أجوس خلال الشرق والغرب  
والأرض الجنوبية  
ولتقفى.. حتى تصير الثواني

فراشة حية

حتى إذا ما الموت لاقاني  
كوني لجسمي تابوتا وقبرية..

— ٥ —

لا الأرض أرضي ولا الأيام أيامي  
يا جسمي الظامي  
اشرب دماءك واحفر قبرك الدامي  
في الريح، واجعل ظلك الممدود  
طريدة، والشعر أشراكاً وأنشودة  
وارحل لتفتح بابك الموعود  
واحمل حصاد الدهر  
بعثه وابدأ من ظلام الغمر  
تكويرة الأرض .. خذها طينة من وجهك الأسمر

وابداً تقاويمَها من سيفك الأخصر..

يا جسميَ الظامي

كن غيمةً.. واسقط على أرضي..

-٦-

كل البلاد الغربية  
لما نزل في انتظاري  
في الزيت تقدح ناري  
وفي الليالي الرهيبية  
عيناى للطير عش  
وللسفين منارة  
وللعذارى قوارير عطرٍ  
وللفطيم فطيرة  
ولليتامى أب غائبٌ،  
وللقلوب الكسيرة  
تواصلاتٌ، وشمس  
البلاد البعيدة تفتح أبراجها،  
وترش شوارعها عطشا موسميًا  
وتلبس جدرانها موعدا آجلاً  
يتفتّح تحت الأزاميل والنقش  
نمنمةٌ ورسوماً ملونة بدم  
الأضحيات،  
السواقي تشد ربابتها وترا وتراً،  
يتكسّر وجهي ولائم في الحلم..  
رائحتي لليتامي أبٌ غائب  
يتأهب  
فوق الخيول العصيّة  
يحمل من كل شيء سلالاً



مخبوءةٌ لا تراها  
إلا العيون الضريرة

كل البلاد الغريبة  
لما تنزل في انتظاري  
والأرض مفتاحُ داري..

مثقَّلةٌ بالهدايا وألبسة العيد،  
في خطواتي فطائر محشوةٌ بزواج  
الأميرات والليل والكائنات  
الأليفة

كل البلاد البعيدة لما تنزل  
في انتظاري  
أنا وهج النار، سر الحرائق في  
زيتها.. كلما بدَّل الليلُ موسمه  
وارْتَعَتْ في الأباريق دمدمة  
العطش الحجريَّ وصلصل  
خوفُ الينابيع تحت خيول  
البرابرة.. انكسرتُ طينةُ الذاكرة  
وفتَحْتُ فيها النوافذ للنار  
والغيم كسَرْتُ وجهي مرايا  
نعاسٍ علي أول الحلم،  
فانفتح النهرُ،  
وجهي الجزيرةُ في النهر، يلتئمُ

من حولها الطمي ، تسكن في

عشبتها أممٌ من شظايا المحار

المفضّضِ والسّمكِ المتوهجِ

بالزرقة - الخضرة - الأعين

الذهبية

والطحلبُ المتكسّرُ في خطوة

النهر

دار تدوّم في القاع

أكتب ألويةً ومفاتيحَ للأرض

والأرض لما تزل في انتظاري

-٧-

هذا أنا..

أبدأ رسم الطقوس

دمي على جبھتي،

عيناي رمح مغمَّسٌ في الشَّموس

وفي ضلوعي جعبة للسَّهام

والأرض من تحتي حصانٌ شَموس

والبرق خبزٌ شعائريُّ،

والأفق طيرُ الغمام

وسكتي حُلُمٌ طائف بالرعوس

فابدأ - معي - يا أيها الشعب - رسم الطقوس..

أعرف أن الأرض والمملكة  
التي سوف تجي  
لما تنزل في شجر الظلام  
تفاحة معلقة.  
أعرف أنما بوابة مؤصدة  
بعيدة

لكنني أشمها في برعم  
أذوقها في المطر البريء  
أسمعها تضحك في اصطدام  
السيف بالهواء  
أنظرها تطلق من أبراجها  
المديدة  
عصفورة الصرخة  
والقصيدة الممزقة

الليل مركبة الأبنوس  
علي اليم،  
أشعة النخل منقوشة  
بمناديل من ظل البرق،  
لي امرأة وسرير المسافة  
بين الينابيع،  
لي امرأة فوق أطباقها ثمر  
يتكسر:

تفاحة العهد والإنكشاف  
الفجائي. خبز الشعير المغمس  
بالصحو  
لي امرأة..  
زمني درج تتهادى  
عليه إلى أول النهر،  
قلبي مخاضتها المطمئنة  
عشباً وحصباء بين الفراتين  
والنيل

وتستغيث..

آه يا مدينتي البعيدة

أنا أشير بالسيف إليك..

فاصمدي وانتظري

الفتح قادم إليك في خميسه..

فتوَّجي رجاله بالمطر..

والليل مركبة الأبنوس على اليم

أهبط

ها أنت مثقلة

بين ثوبيك قطعانك المستحمة

بالزغب المتوهج، بيت الحياة

وعشاقك ازدحموا تحت جلدي

ومثقلة أنت:

زينتُك القمر الذهبي،

شظايا العروش الملمها من

نقوش الخرائب،

وكر العُقاب الإلهي أنقشه بين

نهديك..

أهبط..

في صفتين من الحلم ينشقُّ لي

أفق وسهيلٌ يطلُّ ويترك

شارته في المياه العميقة..

رجرجة الماء مكتوبةٌ

والمياه القراءَةُ

دائرة الرمل تكتب فيها الرياحُ

نبوءتها وتخط طولها :

زمن ملكيُّ يجيء

وآخر يخضرُّ من مائه

وتد الخيمة ،

الرمل فاتحةٌ للقراءة.

والصحو يفتح قبته لسهيل ،

القبيلةُ تشعل نيرانها ، الوحش

ملتئمُ الحدقات ، وهممةٌ

تتقاطر ،

أرغفة العهد بينكمو تتكسر.

أبراجك انعقدت

والقباب تفتحن

صيف من العشب أخضر

ماء الينابيع أخضر ،

أشهد أسماء شعب عصي الولادة

تطلع من رعدة الماء،

فجر الشوارع والمدن البدوية يفتح

ساحاته، امرأتي، في الهوارج

مرفوعة والصعاليك من أصدقائي

يقيمون طقس القصيدة والإرث..

فانتظري ايتها المدن البدوية

وانفتحي للصعاليك والشمس

هذي هي الشمس مخبوءة..

زمني أفق يتقوس بين الفراتين

والنيل..

الشمس تاج،

والسما مملكة مرسومة

فوق مرايا الأرض ما بين

المحيطيين.. السما عرش

مضيء،

ورق الإرث، عصا الحكم،

وشعبي عدد الذرّ ورمل الصحراء

كرة الأفق سريرٌ ليلةَ الحلم،

وشعبي أمة مكتوبة ما بين ماءين

استرحت الآن.. هذا

الحلم يأتي:

فأنا أسمع ايقاع دمي،

الأرض قباب امرأة

أحلم في النهار:

الشمس تاج باحث

عن قامة ورأس

أسمع في الأحجار

توجعا وغنوة انتظار..

لا تنزلي يا شمس

رأسي طري مائع

والسيف ما يزال

حديدهُ أشحذها باليأس

والأرض ما تزال



عجينة تنتظر التكوير

والحلم يأتي :

والحرارة..

رعدة خالقة تجرف أعضائي

: ينابيع دم أم ظمأ يطلع في

النخل - أنا - أم طينة الرعد

وحلم الطيران؟

الشمس تاج والسما مكتوبة

مملكة في الرمل أو في الحجر

يا ناقة رائمة بين نياق المطر

لا تهدئي.. وانتظري

لا تنزلي يا شمس

رأسي طري مائع.. والأرض ينبوع

دم بين الفضا والشجر

والشمس تاج باحث عن قامة ورأس

رأسي على مخدة الليل،

وجسدي

منسكب عبر شقوق الأرض

والظلام

أدخل في مملكة الأحلام

أصبح ضينة معجونة من كل

ما في الأرض من

ميولي

أصبح راعيا أسواق في الرياح

ناقة الغمام

أغنيتي: توافقات

الرمل والأمطار

أبنيك يا مدائي

من شاطئ لشاطئ:

تلبس الشمس قميص الدم،

في ركبتها جرح بعرض الريح

والأفق ينابيع دم مفتوحة

للطير والنخل ..

سلامٌ هي حتى مشرق النوم..

سلام/

ونساء النهر يطلعن:

خلاخيلٌ من العشب

استداراتٌ من الفضة والطمي

اشتھاءٌ بللته رغبة الماء

تصايحن على الطير، وبالشيلا

يمسحن زجاج الأفق،

يبكين بكاء طازج الدفء  
سلام هي حتى مشرق  
النوم..

سلام/

ضمت الحقول ركبتيتها  
ونامت الثعابين  
سلامٌ ظلامي يتكوم قشاً  
ناعما وزغبا  
والثيران أغفت واقفة  
تتكسر أنجم الليل في  
حدقاتها الفسفورية الغائبة  
سلام قناعٌ من ليل رحيم

أرسم وجهك الممتد  
بالغلال  
أرسم بالزيب ساحة  
واسعة،

أرسم بالزيتون  
منارة، أرسم بالفروع  
الثمرة

جامعة وقنطرة  
أجعل من وجوهك  
المعقودة  
أهلاً تحيط بالشط كأفها  
السوار.

هذا نهار الحلم أم غيبوبة  
النهار!؟

رأيت في السماء رقعة  
مثقوبة ممزقة

تقبط من مجهولها الأطيّار

رأيتها تُلْقَطُ ما وضعتُ من

علائم الرسوم

رأيتها تحمل في الحواصل

أهله الخرائط التي نقشتها في

ورق الأحلام

وتبني أعشاشها في

شجر الرياح.

أحلم يا بوتقة الإنسان

والطبيعة

أحلم أن تورق في

القصائد المزدهرة

شمس جديدة

وغيمة وقنطرة..

١٩٦٨

نام النصف الهالكُ ولم

يستيقظ النصف الحي

وخلت الأرض من كل دابة

فإذا قُضيت صلاةُ العتمة

وأقبلت ملائكة الحلم

وأشرق النوم بنور

شمسه الخضراء

وآيته المبصرة

فبرحمةٍ منه خلعتُ أعضاء

النهارِ وفتحت في النصف

الهالك

نافذةً والتفتُ بالنصف

انحيّ وقامت قيامة الرؤية :

ترجّلتُ عن رسوم الشراشف

ورائحة المخدات

فهل تركت الأغطية على وجهي

رسومها الشجرية البارزة؟!

وجهي ورق يتطاير وثمار

يساقطن وأفرع تنمو..

مُهْرَةٌ تطلع من بيت أبي:

تطوى المسافات لها،

الفضة والبرق على حافرها ضوًّا

غرناطة والأرض وراء النهر،

والزئبق والكحل بعينيها مرايا

اشتعلت بالطلل الواسع،

تعلو قامتي في جسد الحلم،

أضيء، الشجر الطالع في وجهي

معقود، ودمع طازج الخضرة

مكتوبٌ على وجهي ينابيع

وأقواسًا

من الماء الهلاليّ.

وتعلو قامتي في جسد الحلم:

سهيلٌ وردة خافقةٌ في عروة  
القلب،

ينابيع دم معتمةٌ تصحو،  
خيول طلعت من "جزء عم"  
اتسعت دائرة الأرض ..  
سلام هي حتى مطلع الفجر..  
سلام/

ركبتي مقصورةٌ في طرف الأفق  
ووجهي ازدحمت فيه الكتاباتُ  
البروقُ الورقُ الأخضر والماءُ  
(الحروفُ/ أمة من الأمم،  
مخاطبون ومكلفون)  
الطيور انفجرت في قبة الريح كما  
تنفجر البئر، تذكرتُ،  
هو الأفق الأريكة/  
جسدي مقصورةٌ، أملك ملكاً لم  
يكن لي ليس للغير،

تذكرت ومن تحتي نهر الصور  
الحية

يجري والينابيعُ تواشجنُ كما  
أقضي..

تذكرت فجاءت كرة الأرض  
وجاءتني السموات وأبدلن  
ثيابًا بثياب.

المزج بين خلائق الذاكرة وزواج  
ما ليس ذكرا بالأنثى وما ليس  
أنثى

بالذكر

وفرحُ القوى الأرضية وهبني  
قوة الاستحضار بمدد من صور  
الذاكرة المهشمة  
فاستحضرتُ من الأطعمة والصور  
والسمع الطيب على ما أشتهي  
وطال الوقوفُ في مقام "كن"

وامتلاً الفرح بالأسئلة الغضة

وتهدل شجر الوجه بالهواجس

الطازجة

وبراعم الحيرة المنتبهة

فعرفت أني على المعراج أتمشى في

مقصورة اليقين الأوحد

واتسعت دائرة الأرض ،

السموات سراويل يتفتقن عن

خاصرة النهر الحي

نافذة تحت سراويل البحر مفتوحة ،

والإشراقيون الهرامسة والعرفاء

يقيمون وليمة الجدل النوري ،

السهروردي يتنفس ملء الفضاء

ويقسم الخبز والسّمك النيلي المفضّض

ويأكل ملء الفوضى ويشرب ملء

الفيض الذي لا ينقطع .

الهرامسة ينسجون بُردة السماع



والطرب ويفرشونها للقبيلة النبيلة  
والوحش والطيور مُستراحًا وكنفًا  
وتوطئةً لتعارف الخلق ومصاهرة  
الخلائق مثنى وثلاث ورباع وإلى  
آخر ما تعيه الذاكرة من الأعداد

نساء النهر يكشفن عن الساق  
النحاسية والطمى وعشب  
الخليقة الطالعة من كل نوم.  
سلام هي حتى مطلع الفجر.. سلام/  
مهرة تصهل في بيت أبي، بيت أبي  
مرتحل في جسد الحلم،  
الفراتان كتاب من دم يصعد  
والنيل كتاب

وسراويل دم منتشرٍ يخلعها البحر  
فتلبس الصحراوات وتزيّن الأرض

الواسعة وشظايا الخرائب ببهاء

الصاعقة وخضرة النار

والشمس تُولج أطرافَ الليل في

قفّازات الأرجوان وجوارب الذهب

المسبوك وغير المسبوك

صاعدةٌ هي ومليئةٌ

هابطٌ هو إلى همهمة الخشاش

وتلاصق الدويبات وزواحف

السعي

ضاقت الخطوة.

في مرقعة النصف النهاريّ

التففتُ، انتشرت رائحة النوم

الظلامي

وقاءتُ فُرُش الصوف، ارتمتُ

أحفة القطن المندّاة..

سلامٌ عنكبوتٌ من دمٍ

خَثَره أن التقاطيع تشابهن..

سلام/

جسدٌ يهجره الماءُ

وماءٌ هجرته الذاكرة.

١٩٧٥

obeikandi.com

رسوم على قشرة الليل

obeikandi.com

## خُطواتٌ مُقتَلَعَةٌ:

### أغنيات متجول

- ١ -

من الذي يركض في البرية  
في جيبه فطيرة الرمل وفي لسانه أغنية منسية  
يكتب في الهواء يومياته الأليفة  
يكتب عن مغامراته في الطرق السفلية  
ويستعيد ما حفره الزمان في سجادة الخليفة!!

من الذي يركض في البرية  
يصير مرة ضباً ومرة خرافة  
يصير هامةً تصرخ أو مجاهدًا يرفع بُيرق العرافة  
أو رقصةً في ساعة مخيفة  
بندولها يقتل إذ يذهب في الفضاء أو ينبعث إذ يجيء!!

من الذي يركض في البرية

منسلخاً من لحمه النّئى هارباً من دمه المختمر المحموم

مستقبلاً في وجهه حوافر النجوم

منسرباً وغائصاً في الأرض،

يبدأ الرحيل

يدخل منجم الأرض على حصان المعدن المنطفئ المصهور

يصعد أو يهبط في عروقتها

يأخذ وجهة المركز أو يدور في مياها الجوفية!!

\* \* \*

قابلته على وجوه البرك الضحلة والعميقة

سمعته يكذب في الباطل أو يومئ في بوارق الحقيقة

رأيت في البئر ناظراً محدّقاً من خلل الرغوة والمياه

عرّفتني رموزه في كتب التجديف والصلاة

والتمعت كنوزه في الزبد المعتم

طارت الطيور وأبتنت أعشاشها في الجزر



الغريقة.

أنا هنا علامة

وشارةً منه على طرائق الخيبة والسلامة

أنتظرُ القيامة

وعودةَ الفروع في الجذور

أنا هنا سُمرُّته في الصيف واصفراره في ميّت الفصول

ورقصةً في مطر الأعماق وانسكابه في السُّدُم المحروقة

وصوته الذي يصرخ في الأحلام:

"من يمنحني جهمتي المسروقة!!"

أنا ظلاله التي تجسّدتْ

أخلاقه التي توحّدتْ

تماسكاته التي تبدّدتْ

هو الفرارُ في بواطن الأشياءِ  
وأنا فرارُهُ المرئيُّ في السطوح

\* \* \*

في الليل.. لو قابلني  
فسوف أدعوه إلى غربتنا السريّة  
أطلبُ أن نستبدلَ الخرقَةَ والطريقةَ  
أطلب أن يعطيني وجهته.. أن يطعمَ الغربةَ في السطوح.

\* \* \*

في الليل.. حينما تمتزجُ الشعائرُ  
شعيرةً واحدةً للموت والعماد  
شعيرةً واحدةً للجوع والحصاد  
شعيرةً واحدةً للرعب والألفة، للسُّكر وللعبادة  
فسوف يكتسي هيكلِي العظميُّ من مناسج السُّلّمِ  
أو تُفرش لي طفولتي سجادة  
أو أبدأ الرقص على أسرة الولادة..

١٩٦٦/١١/١١

أُمي وَلَدْتُني في أحراش الجوع  
فشربتُ الصداً السائلَ من فولاذ العالم  
ورقصتُ على إيقاع الموت  
وأكلتُ الأرغفة الحجرية  
فاخترقتُ صدري الحربةُ في أعراس الصمت.

\* \* \*

أخذتُني فوق محفَّتها مركبةُ القمر الأعمى والظَّلماءُ  
فدخلتُ فصولَ الرعب  
ورجعتُ إليكم ذاتَ مساء  
محترقَ القلب.. فقد زوَّجني العالمُ طفلةً الجنيَّة.

\* \* \*

أدخلني عرسُ الأرض حدائقه السفلية

وأُتيتُ إليكم ملتهبَ العينين

أسألكم:

كيف ارتدَّتْ أُمِّي - تحت كروم الجوع -

فتاة بكرًا وامرأتِي عذراء!!

مارس ١٩٦٦

الشمسُ تشرب البحرَ لكي تموتُ  
والأرض - في فجيعه العالم - تأكل البيوت  
والشاعرُ الكاهنُ والقصيدةُ العلامة  
شرنقةٌ تحبل بالقيامة.

\* \* \*

الليل والدَّوَاةُ والسيوف  
خرافةٌ تطوف  
باليأس والقتامة  
والرعبِ في دفاتر السكوت

\* \* \*

الصمتُ في جمجمتي سفينة، وحوثُ  
مسافرٌ في طرق الغرابة

والعالمُ الذبابة

يُلحَفُ في الأسئلة التي تموت في فواتح الإجابة.

\* \* \*

الصمتُ في الرّابة

والعالم المسجون في خزائن التجار

علامةٌ داميةٌ ترقص في قوائم الأسعار..

١٩٦٦/٩/١٦

في هذه الحوائط التي تكبرُ، في الميدان  
في هذه القارورة التي يملؤها تشابك الألوان  
في ورق الإعلان  
وورم المفاصل الراكعة المهيضة  
في هذه التمايم البغيضة  
أراك يا قريننا الجائعة المريضة  
جمجمةً تنبتُ في حدائق السلّ، ربابةً تسكنها الغربان.

\* \* \*

عصيرُك المختمرُ الذي يُسرق عند الفجر  
أشمه من هذه القارورة التي تفتحها المومسُ في الهواء  
وجرحُك الذي ينزف بعد العصر  
أراه في السحائب التي تطلقها مواقدُ الشواء

والقبح في ملاحني أراه  
سنبلاً من الدم المغتصّب الذي يلمع في الشفاه.

الميتُ المجهولُ في شوارع المساء  
من قريتي يحى كل يوم  
يترك جلده الممتدّ في الأسفلت،

والصدّارَ في أشربة الحراس

والقمرُ المغتربُ المضاء  
مرثية صامتة تقرؤها مداخنُ السماء  
والشاعرُ الذي يكذب جاء

كي يشرب الزبيب حينما ينتصفُ الليلُ ويثمر الكذب.

١٩٦٧/٥/٩



أضربُ في الأستار

مطوّحاً بالسيف جهة "اليمن واليسار"

\* \* \*

كان الممثلون في الممر

كانت غنائمُ الليلة في الدهليز

من ضحك المهرجين

وهوَسَ الدماءِ في عروق البطل المستسلم الحزين

كانتُ مدينةُ المطر

تغسل عارَها المنكشفَ الدفين

وتمنح الحفاة والعراة

- لقاء ما يبعثرون من دم - صلصلة الكنوز

كانت شرائطُ الفرو المخططة

علامةً سريةً للمومس العجوز.  
كانت علامةُ المضاجعات في الظلام  
الرعبَ والتلونَ الخائنَ في الوجود  
وكانت الزجاجةُ المعتقة  
والقفلُ والمفتاحُ والبكارةُ الممزقة  
تحبل بالرموز.

\* \* \*

الرجل الذي أراه يعبر الآن من الرصيف للرصيف  
رأيتُه في أول الصباح  
مجنّداً في دمه يصرخ في الرياح  
في معصميه كانت العلامةُ الداميةُ الرهيبة  
تسكب من جروحها غرّينها المباح  
في الظهر كان واقفا يراقص الرماح  
في العصر كان قاعداً معربداً في زخرف العباءة  
يتمتع من عصارة القماءة  
مدائح الزّنا وولد السّفاح

في الليل كان طافياً في الطرق المضاءة  
مطالباً بما يبيعه من عرق الأفخاذ أو ينتظر العطية

\* \* \*

والرجل الذي رأيته ممزقاً أمام أعين المشاهدين  
مندمجاً في فوضوية المجاهد الحزين  
يحفر بالأشعار مكنماً للجذر  
أو حنجرَةً للشعر

أو منطلقاً للماء في الصلابة  
رأيتَه - حين تقاطع الصمت مع المساء -  
معلقاً في وتر الربابة  
يعرض وجهه للبيع والشراء

\* \* \*

أضربُ في الأستار  
مطوّحاً بالسيف جهة "اليمن واليسار" ..

١٩٦٧/٤/٢٠

تحت الرمالُ

ما زلتُ أسمع هذه الرياحَ القديمة،

والتلالُ

تخضُّرُ من جوعي وتكبرُ ثم تكبرُ،

والهلالُ

كالسُّنْبُكِ الدامي .. يطير

متأكلاً ومقوَّساً لا يستدير

والشمسُ تصغرُ في تماويلها.

يخطُّ على الغصون

ثمرٌ تمزِّقه المواسمُ والمطر ..

فلتُغسلي كفيكِ في البراءة.

ولتحملي خنجرك المرففَ بين النهد والنطاق

ولترقصي في الحسرة المرتحلة

بين الوجوه السُّمِرَ والعيون..

أحلم يا مدينتي الفارغة العينين

بالفارس الذي تنشقُّ عنه الرَّحمةُ المغللة

يرقص رقصة الموت ورقصة الزفاف

يُخرج من جيوبه البيارق

فبِريقٍ تصبغه الدماء

وبِريقٍ تَنْبِت في أطرافه السنبلةُ الخضراء

وبِريقٍ يثمر فيه البرق والرعد ويسقط المطر.

أحلم يا مقطوعة النهدين  
بالشعب إذ ينفخ في أبواقه المنتظرة  
فتشرع الأرض رماحها في الزهرة  
وتزحف النار التي تلبس ثوب المطر  
ويصبح المنجل خنجراً، وتصبح الرياح قنطره...

\* \* \*

فلتحملني آلامي  
يا غنوة الربوع والسنابل الدوامي  
ولتحملني عظامي  
مراوة أو حرباً أو خشبة  
ولتجعلني خطاي في الظلام  
مسرجةً وعتبة  
وعلّقي في الرقبة  
إيقاعك الذي يجرسني من لقمة الخيانة..

١٩٦٨/٥/٢٨

"إلى شمال إخناتون بالمتحف المصري"

الشاعرُ النائِمُ في التابوت  
أضعمنا السنايلَ الأخيرة  
لوَّحَ بالشمس على وجوهنا من قبل أن تُولد أو تموت  
أسمعنا الأشعارَ وابنتي مدائن الظهيرة  
واندلعتْ على سريرهِ قارورةُ الحنوط  
والتفَّ في منتصف الليل بما تنسجه الظلمة والسكوت  
وغادرَ الأرض .. مطارداً بالومس الأميرة  
معلقاً على مشانق القصائد الأجيّة  
مكفّناً في صرخات البوم واللوتس والبشنيين.

\* \* \*

الشاعرُ الذي خبَّأ قلبه في قصب الأُهارِ

أو في لبن الأشجارِ

أو في القمر المجنح القدمُ

يرقد - ما يزال - في أسرة السديم

منتظرًا - في الموت - ما يزال

ممدًا في حجرية الصخور، نائمًا في عطش الرمال

معدبًا في عرق الزُّراع، باكياً في عصب الموال

مقيدًا في صالة المتحف شاكيًا،

منفقئ العينين رافضًا أن يستريح أو يريح

أن يعيش أو يموت..



رَأَيْتُنِي مَفْتَتًا فِي وَضَمِ الْقَصَابِ  
مَجْزَأًا فِي الْوَرَقِ الْأَزْرَقِ تَائِهًا فِي طَرَقِ التَّرَابِ  
مَهَاجِرًا أَدْخَلَ كُلَّ بَابٍ  
مُنْسَفَخًا مَدُوحًا أَنْتَظِرَ الْفَرَارِ  
تَكُوْرًا فِي النَّهْدِ  
أَوْ صَلَابَةً فِي الزُّنْدِ  
أَوْ سَخَاءَ نَظْفَةٍ تُضْرَمُ نَارَهَا فِي رَحِمِ الْيَبَابِ  
\* \* \*

رَأَيْتُنِي فِي الْقَمَرِ الَّذِي يَطْلُعُ مِنْ أَغْلَفَةِ الْمَصَاحِفِ الْكُوفِيَّةِ  
مَكْرَرًا فِي الْبَقْعِ الْبَاهِتَةِ الَّتِي تَرْقُصُ فِي  
زُخَارِفِ الْمُنْمَنَاتِ وَالْمَقْرَنَصَاتِ وَالْقُبَابِ  
رَأَيْتُنِي مِنْكَسِرَ الْحَرَابِ

أطارِد الغزاةَ التي اطلقها الرّسّامُ في السجادة الألفية..  
منسحقاً على قصائد العرار والأراك..

\*\*\*

رأيتني ملتحمًا بالأرض في عراق  
ملتحمًا بالشمس في عراق  
ملتحمًا بالقمر الثلجيّ في عراق  
فمن يخذل الأشياءَ من دمي المشاغِبِ الذي  
تصعلكتُ حيوطه في طرق الهلاك  
أو يقطع الحبل الذي تشدُّه في عنقي أصابعُ الأشياء!!

حينما تدخل باب القمر الأسود فانظر في  
الدهاليز وحدّق في الزوايا  
وادرّع - من رعبك المنكتم الصوت - بما  
تلبّس من إرث الوصايا  
وابتعد.. فالعالم اللص سيُلقي لك  
أشراك الصداقات وأفخاخ المرايا  
لا تحدّث أحدا.. فالموت يأتيك برجع الكلمات  
لا تحدّق في مراياك التي حدّبتها جوعك  
أو قعرها رعبك،  
لا تهرب على مستكذب الفعل ومدحول النوايا..

تَحَدَّثْ مَعِي يَا رَفِيقَ السَّفَرِ  
وَضَيِّعْ بِجِبِلِّ الْأَحَادِيثِ مَا اعْتَادَ قَلْبِي مِنَ الْحَزَنِ،  
حَوِّلْ دَمِي عَنْ خَطِي الرِّيحِ فِي الْعَشْبِ  
وَالشَّمْسِ،  
حَوِّلْهُ عَمَّا بِهِ مِنْ فِرَارِ  
وَرَاءَ اللَّظَى وَاخْضِرَارِ الشَّجَرِ  
وَأَنْقِذْ دَمِي مِنْ ضَجِيجِ التَّدَاخُلِ بَيْنَ الرُّؤَى  
( لِمَاذَا خَلَّتْ أَرْضًا مِنْ مَكَانٍ لَنَا  
لِمَاذَا خَلَا الْعَالَمُ الرَّحْبُ مِنْ مَوْطِئٍ لِلْقَدَمِ!! )  
أَنَا أَعْرِفُ الْأَرْضَ .. مِنْ خَلْفِ هَذَا الْجِدَارِ  
سَأَرْكُضُ فِي الْكَوْكَبِ الْمَظْلَمِ  
أَغْنِي بِأَشْعَارِي الظَّامَّةِ  
وَأَشْرَبُ مِنْ كَأْسِهِ الطَّافِحَةِ

بما في البروق الرهية مني ومن غضي وجنوني الكظيم..

(متى تشرق الشمسُ فوق المدينة

لتبتلَّ أطلالُها بالندى والسكينة

ويهتزُّ فوق المنارات عصفورُها الملهب!!)

\* \* \*

لقد كنتُ في أول العمر طفلاً يحب السواقي

أغني فتستدفي الشمس في أغنيات العروق

وعيناي ما كانتا غير صقريْن لا يشبعان

وأصغي إلى كركات العصافير..

لكن جنيَّة الأرض صَبَّتْ بسمعي مُذابَ

الرصاص

وقادتُ إلى مخدع الطمي والعشب روعي

وألقتُ عن الصدرِ فضْلَ الوشاحِ

ففرَّتْ إلى الليل أطيَّارُ قلبي الذبيحِ

تحسستها.. فاستحالت بكفي طيناً به من

خطاها بقايا اخضرار

وأوغلتُ في العمر حتى استحال الفرار..

\* \* \*

أرى قطة الليل تنسلُّ في الشارع الأرقط

ويستولد الجوعُ في ناظرَيْها التهاويلَ

تنسلُّ في سلم الظلمة الصاعدِ الهابطِ

وتنقضُّ.. تندسُّ بين الحنايا

وتأكل من أضلعي البلبَلِ النائما

وتحسو الدمَ المعتما..

\* \* \*

بوجهي - قد مَسَحَ الليلُ أظفاره ثم أقعى بركن قريب

أراني الردى وهو يرقص في الأعين المطفأة

ويلتفّ في حُرقة الصمت فوق الوجوه

فأغفيتُ أحلم أن يتخلق في الشعر وجه القمر..

أنا مسافرٌ في هذه السفينة التي تُبحر في  
شوارع النهار

تسترني أشرعةُ الغبار  
تشطرنِي شرائحُ الزجاج والمصباحُ المعلقة  
تنسخني، تجعلني عجينةً من الملامح الملفقة.

\* \* \*

مسافرٌ إليك يا يمامةَ الغربة والشباب  
مرتحلٌ إليك في مساومات الصمت والعذاب  
من جسدي يساقطُ الشعرُ وتهرمُ العروق  
في جسدي تعشش البروق  
تشقني - من شهوةٍ للمطر - الشقوق..

\* \* \*

مسافرٌ إليكِ يا يمامة

في الحسرة المقيمة

واللغة القديمة

تحملني نقالة الغروب والشروق.

(لم تنغلقُ بؤابةُ المدائن المحرّمة

لم تنغلقُ دفاترُ الصمت ولا دفاترُ الكلام

واختلطتْ شعائرُ الصحوة بالمنام

وانفتحتْ في طرق الزحام

طرائق الهجرة والإقامة..)

مسافرٌ إليكِ يا يمامة

قصائدي من شجرِ الموت وشجرِ القيامة

جذورها في الجذث القديمِ

واخضرارُها تناسخ السديم



وانفتاحُها في طرق الظلام شفرةٌ تشطرنِي

نصفين

حنجرتي تصمت كي تبين.

\* \* \*

قصيدي التي جمعتها من معجم الزحمة والفراغ

- في هذه المدينة المرصودة -

تُقلت من حنجرتي غائمةً مضببةً

وتستحمّ في مساقط الوحل وفي الأصباغ

تدخل في الجدران

تصبح - يا يمامتي - زنزانةً يحرسها السجان

قصيدي إدانة

تطرُدني للعالم المغلق في شوارع النهار..

١٩٦٧/٥/٩

هذا الفراغ - الرُّمَحُ في مملكة الأشياء

ينغرس في نقطة الصميم

يدور في تحوُّل المركزِ وأنفلاتِه في اللين والصلابة

يطلع تحت خيمة السماء

مجرة تائهة، يسقط في السحابة

يرقص في الحدايق التي تنبت أو في الجبل القديم..

\* \* \*

الثمر الذي يشرب من عصارة الطَّيْف ويرضع الهواء

ينضج في الذؤابة

تأكله أغربة الليل وبومة النهار

والطينة - النساء

تشقها شرائع السبي والاعتصاب

تحرثها أسنة الرعبِ فلا تنبت في  
أحراشها سوى طحالب العوسج والجنابة

\* \* \*

هذا الفراغ - اليأس في مملكة الإنسان  
أقامني على السراط في جهنم الكتابة.

من أنتَ - يا حوثًا بلا عينين يمْرُقُ في المضائق والبحار

يرتاح فوق جزائر اليأس الظليلةِ

أو يموتُ بأرخبيل الإنتظار،

يفرّ من رمس إلى رمس، تحوّل الطقوس

عصفورَ نار!!

من أنتَ.. يا شبحًا يجوسُ

في الليل من منفى إلى منفى تطارده الشرائع،

والفرارُ

رمحٌ يمْزِقُ في دخائلك النهار،

قمرٌ وليس له بسقف الأرض نافذةً،

وعينُ دمٍ بقلب الأرض ليس لها قرار.

من أنت.. يا شحاذَ هذا العصر..

يا ملكاً يتوّجُ في القفار

الخيمةُ الزرقاءُ عرشُك والرياحُ الصولجان

والرملُ قصرُك، والقصائدُ و الحروف

رئتان يطفح فيهما السلُّ المخربُّ.

في الضلوع

نسرٌ إلهيٌ يجوع

ويطير من جبل إلى جبلٍ،

يموتُ ولا يموت..

يسألني الطحلبُ في البرية:

من الذي أقامني في الطرق الرملية

وشدّني منخطفًا للسحب المجففة

أحلمُ بالأمطار والجذور!!

تسألني حشائشُ الحقول:

من الذي حمّلنا حوافرَ الشجر

فمزقتُ أرحامنا،

وشربتُ ما انصبَّ من ساقية الفصول

واختمرَ الطميُّ بما، ولوَحَتْ يده في ضفائر

الثمر !!

تسألني الكرومُ والأشجار:

من الذي أَوْقَفَنَا في الليل والنهار

وَأَقْتَلَعَ الأفراسَ من جذورها،

أطلقها للنبع والحظائر المشمسةِ الظليلة!!

تسألني قوافلُ الأنعام:

من الذي خَبَّأَنَا في الشَّعرِ و الوبر

أَقَامَنَا من جلدنا في الليل،

أطفأَ الشمسَ وأطفأَ القمر

فانتحرتُ في دمنِ الأشعار

واحترقتِ مناجمِ العبارة!!

تسألني الدماءُ في العروق

عن فَلَكَ البروق

عن كوكبٍ يطلع في الظلمةِ أو يطلع في النهار

يغرسُ في عناصر الأرض خناجرَ "السَّوءِ"

يربط بين الطحلب البريِّ والهواء

والغيم والقصيدةِ المخبّاة  
والعرسِ في قرينتنا والقمرِ المضاء  
يربط بين البحر والجدور  
والسَّعْفِ المخضرّ والقافلة المهاجرة..

١٩٦٦



أحبُّك.. في دمي النيرانُ والبرْدُ  
وفي صدري الأساطيرُ التي تلدُ  
وهذا الصبحُ يغسلُ قلبه في وجهك الخمريّ،  
يشربُ، ثم يرتعد  
ويُقبل ثم يبتعد  
ويصعد عالياً للشمس، يغطس في جدائل شعركِ  
الأسود.

\* \* \*

خلال تجارب الموت الملوّن.. كان نعشُ الإزدواجية  
يطيرُ بجثتي ويحط في المدن الرمادية  
ويطلقني بها في سُرّة الأحياء  
يقيمُ حوائط الكلمات بين القلب والشفيتين.

\* \* \*

يعلّمني انفساحُ العمق في عينيك كيف أراك في البئر  
عطية هذه الأرض التي منحت طفولتنا أغانيها  
وكيف توالد الماء المقدس من ركاز الطحلب المخضر والنار  
تعلّمني الجدائل كيف يطلع في دمي المغلي وجه الشمس،  
كيف تُقطر الأصوات،  
كيف يجيء عبر سحابة الإيقاع جبريل  
وكيف تغوص - كي تحضر - في الأرض التراتيل  
ووجهك.. هذه البوابة الخضراء  
تفتّحها يدُ التكوين  
تربطني بأحصنة السحاب وشهوة الأشعار والسفر  
تبارك وجهك - الأرض  
تبارك وجهك - الإيمان والرفض  
وقدّست الحروف الحرة المغروسة الإيقاع في قلبي  
تسطّر في دمي أسطورة التكوين والخلق  
وتطرح صوتك المنقوع في الرحمة

أيا وجهًا بكيْتُ له، انتظرتُ شمسَه من قبل أن أُولد  
فكنتِ طفولتي والشعرَ والإنسانَ واللُقمة..

\* \* \*

تعذبني عطايا القلب  
وتثقلني الثمارُ وأفرعُ الشجر  
(بقلي أفرعُ الشجرة  
تَقْصِفُ تحت إكليل العناقيدِ  
وتصرخ في انتظار الآكلين،  
تَفْتَحُ في زهرها الألوانُ والغبطة  
ووسوست الفروعُ بغنوة الأطفال في العيدِ)  
هبيني منك بعضَ سماحة الأخذِ العظيم،  
وأدخلي كفيكَ فارغتين في قلبي  
خذي عني، خذي مني، ارحمني من دمي المثقلِ  
بما فيه من الأغصان والأوراق والأثمار  
فهذا العالمُ المقفل

بجيلٍ ليس يأخذ من دمي شمساً ولا قمرًا ولا أشعار..

\* \* \*

سأشعل في فمي باكورة الكلمات  
أحبك.. آه يا باكورة اللغة الإلهية  
حروفك في الضلوع تفتحُ الدهشة  
وأغنية تشطرُّها المخاوفُ والرؤى والليلُ والرعشة  
تلفَ حبالَ غبطتها علي الرقبة  
تحرّري وتأخذني  
إلى أرض الخرافةِ والدم السفليِّ والجنِّ  
وتطلقني مع الظلمات والأسفار  
فتهرب من فمي الكلمات.

أتيتُك.. أحرستني دهشتي الأولى  
فلم أصمت ولم أنطق..

أيها الوجه الذي أومأ لي ذات مساء  
لَفَكَ الليلُ فأحببتُ بعينيك الحُفَاءَ  
لَفَكَ الضوءُ.. فعندنا غرباء..

بين عينيكِ شجيراتٌ من الشمس القديمة  
وانتظارات الفصول  
بين عينيكِ تأبينُ الأغاني  
وبقايا القبله المرتحله  
أطلعتُ في القلب عنقودَ الهزيمة

كلُّ شيءٍ غامضٌ مما مضى في الزمن الغابر أو مما يجيء  
راقصٌ مرتعشٌ في شفَتِكَ

آه يا معجزتي المنتظرة

لم يزلُ يصرخُ في قلبي البريء

صيفُ أشعاري الذي يهربُ مني

وأنا أركض في ليل الشتاء.

أيها الوجه الذي أوماً لي ذات مساء

فَتَشَهَّيْتُ سكونَ المقبرة

علَّني أخلع أو ألبس ميراثي ولحمي

اسْقِنِي من مطر الدهشة كي ألبسَ في الليل قميصَ

الشعراء

واتخذني ليلة العرس خضاباً أو ثريدة

وارمني بالرَّعد والصاعقة المشتعلة

علَّني أولد من حنجرتي

فأعني بالولادات الجديدة..

## مملكة اليأس

وطن الإقامة الدائمة

- ١ -

في أرض القلب المرتعش العريان  
أمشي مرتعداً عبر حقول الدم  
فيحط عليّ ويخنقني العطرُ المعتم.

هذا الشجر الأسود  
أطعمني ثمر الآلام  
فامتألتُ سلةً رוחي بالفاكهة المرة.

حين رقصتُ وحيداً وانتظمَ الإيقاع

انفجرتُ خشخاشاتُ الشجر الأسود  
عن مطر الشهوة والأجساد  
وامتدتُ أقواسُ قزحية  
الأصفرُ شمس برية  
والأخضرُ قمرٌ يصعد في السحب الحمراء.

ينتفض الشجرُ عن الأزهار  
تُفتح عيونٌ وحُشية  
تأكلني تلفظني،  
والأجسادُ البلورية  
تفتح لي نافذةً تحت سماء العالم.

عبر حقول القلب المتعب  
يشنقني الضوء الدائرُ في عين الكوكب  
والموتُ الطافح بالأحلام وبالأسرار  
غيماً يتفرَّغُ من نهديه المسمومين..



شحاذ الليل أنا، متسوِّلة العريان  
تتعامدُ في وجهي طرقاتُ العالم إذ ينتصفُ الليل  
ينفتح البابُ فيرجُمني الإنسان  
ينغلق فتنهش قلبي الظلمةُ والأضواء  
وأنا أبحث عن صوتي المخبون..

جرسٌ فضيٌّ في الساحة  
والبلبلُ في القفص الليلي  
تتلاقى الأصواتُ المذبوحة  
تتلاقى فوق القنطرة المسحورة أحصنةُ الأصداء  
تتعارك، تغرسُ خنجرها في القلب  
\* \* \*

ما بين الحركة والإيقاع  
أسقطني اليأسُ قناعاً بعد قناع  
والرقصُ الطالعُ من زفرات القلب  
يتهدم في زلزال الهارمونية.  
ما بين الظلمة والأضواء  
احترقتُ سنبلتي الخضراء، انطفأتُ مسرحةُ الأسرار  
واستوطن قلبي أرض اليأس

١٩٦٧/١٠/٢٠

في قلبي تخضرُ جذورُ الصيف  
ينصبُّ الماءُ الذائبُ في ألوان الطيف  
ينصبُّ الماءُ فيطفئُ في أعماقي شمسَ الخوف  
تشتعل الشمسُ الأولى في ظلمات الصدر  
تولدُ أوَّل رِيحٍ من أرحام الفجر  
وأنا أهبط عبر فصول الأرض  
مندهِشًا تلمع في عيني سيماء الضيف..

\* \* \*

في قلبي نحرٌ يرمي طميًا من سبعة ألوان  
يتحدَّر عبر جبال القمر السبعة، يعزف موسيقى الفيضان  
فيغوص الصوتُ إلى أعماق الطمي الحي.

\* \* \*

تتهدّل أشجارُ الرمان  
بالثمر الأشقر والأزهار  
وتحط الأطيّارُ النيليةُ في أشجار السنط،  
تطير الأبنخرَةُ الأرضية  
ويحطّ يمامُ الصيف علي المئذنة القزحية  
وأنا أمبط عبر فصول الطمي الحي..

أتكى على أبواب الدم

أعترف الطمي الطافح بالألوان وأنصت للموسيقى

الأرضية

وأمر خلال الباب الضيق.. أحمل بعض الطين

كي أنفخ فيه حُلْمَ الأسفار الليلية

وأشكل منه هياكل أمنحها الأسماء الأولى

وأردد بعض مقاطع من لغة حبلئ..

مَنْ أطفأ في أعماقي شمسَ الدم  
فأهدلتُ سبعُ سمواتٍ من صمت  
وانسربتُ في ظلمات اللعنة موسيقي الفيضان  
فأنا أحمل في صدري قنديل الموت  
أمرق عبر فصول الأرض وأبحث عن ألوان الطيف!!

١٩٦٢

## سفرٌ في الظهيرة

١- تَعْلُلْ:

أبو الهول ما زال يطوي جناحيه،  
يُقعي ببوابة الأربعاء  
وطفلٌ تعرّى، ومن آخر الليل جاء  
تحسّسته أولَ الليل، علّته بالغناء  
فمن أيّ ركن أتى صوتُ فيروزَ والليلُ ينصبُّ  
زيتًا بلا رقعةٍ من فضاء!!  
تحسّستُ في لجة الزيت قلبي.. تحسّستُ طفلَ  
الهزيع الأخيرِ  
وَأَلَمَتْهُ حُلْمَةُ الفجرِ، غَطَّيْتُهُ بالضميرِ  
تحسّستُ في لجة الزيت بوابةَ الأربعاء  
فنادى أبو الهول: أَقْبِلْ  
فقد جئتُ باللغز.. لا.. ليس لغزي القدم..

٢- أمام المرأة "مونولوج":

"ترزياس" قد جاء من آخر الأرض

بالبشرىات التي فاح طاعونها في المدينة

تواري على مكتب "الموجنا" في البناء العتيق

وأغفي على قهوة الصبح بعد انتهاء الجريدة

وكانت أحاديثه عنك، عن سرّ عينيك

(لكنني كنتُ أبكي طوالَ النهار)

ترزياس ما كان يوما صديقي

كهاناته دوّختني بطاعونها منذ صيفي الأخير

تكلم.. ولا تفتح العين.. ما سرّ عينيك..

هلا غسلتَ الجبينَ الذي ضرّجته الدماء

(ولكنني أعجبُ الآن.. ما سرُّ هذا الدم

الأسود اللون فوق الرداء؟!)

أنا.. ربما كنتُ طالعتُ عينيكَ في الصيف



لكنني منذ موتي الأخير

نسيتُ الذي كان.

هل أنت أسقيتني الموت؟!

هل كنتُ أغمدتُ سيفي بجنبيك؟!

من مات منا ومن ظل فوق الجسور؟!

تكلم.. ولا تفتح العين.. ياللمرايا التي تجيب!!

### ٣- الموت عطية الأسئلة:

ومن آخر الأرض جاء "المسيح"  
ومن حوله جوقة من تلاميذه المؤمنين  
يثنون ملء الصدور:  
(رأيناه في هالة الشمس يمشي على  
صهوة الضوء.. فاحضر من ألهوه.  
وهبوا من الموت..  
كنا سمعناه يتلو تعاويذه فارتوينا صفاء  
رأينا على كفه حنتين  
فإن أغضبته السؤالات.. ألقى على  
الأرض من ناره حفرتين  
تعالوا إلى بيعة العمر في ساحة خارجية..)

وكنا حوالئِه مرضى صدور

تعاووا إلى رشفةٍ من سرور

وساءلته:

هل تقومُ القياماتُ في الصدر،

موتايَ في غيْهب الصدر هل يُبعثون؟!

ومن حفرة النار ناديتُ: أطلق يدي يا مسيخ

فما زال بيني وبين المرايا حديث طويل..

٤- - وطنٌ في عَيْنين:

بأقمار عَيْنِكَ أَرْضِي، وفي رَعْشَةِ الصَّوْتِ لَوْنُ السَّمَاءِ  
وَأَطْيَارُكَ الْحَضْرُ مَا زِلْنِ يُنْشِدُنْ شِعْرَ اللَّقَاءِ  
فَيَنْهَشُنْ قَلْبِي، يُعَلِّقْنَهُ فِي ثَوَانِي الْمَسَاءِ  
يُؤْرِجُهُ الصَّمْتُ عِبرَ الثَّوَانِي..

بأَرْجُوحة الصَّمْتُ تَهْتَزُّ أَثْمَارُ الْحَمِي  
وَفِي الصَّدْرِ أَطْيَارُ مَاءٍ، عَشَائُ غَمَامِيَّةٍ  
خَرَّبَتْهَا فَصُولُ الدِّخَانِ  
فَلَا تَسْكِبِي صَوْتَكَ الرُّطْبَ فَوْقَ الزَّمَانِ التَّرَائِي،  
لَا تَتْرَكِي مَنبَتَ النَّهْدِ يَغْتَالُ حَزْنَ الرَّحِيلِ  
وَلَا تَكْشِفِي سُرَّةَ النَّارِ،

لا تغسلي صهْدَ يومي بواحاتِ عينيكِ..

في الصدر قولٌ يطول

ويمتدّ ما امتدّ سيرُ الفصول

فمن أيّ يومٍ أقصّ الذي مرَّ بي،

أيّ ساعاته، والتحامُ الثواني على

بركة القيظ زنزانةٌ تسجن الكون بين الضلوع!!

تعالٍ معي.. وانظريني مع القيظ أطوي طريق الرجوع

وأجتازُ بوابة الأربعاء المميت

وتغتالي الشمسُ والتبغُ يوم الخميس

وصحي يقولون لي:

ارو شعراً عن الحب في صحوةٍ من ربيع

وقلي يناديك.. يا واحة الإنتظار..

## ٥- قطارُ الصَّهْدِ والرماد:

قطارُ الرماد الذي يلُغّ الصَّهْدَ يطوي طريقَ النهار  
ويعمضي بدوامة الأرض يستقيه صيفُ الحقول  
لظي قاتلِ السَّوْطِ.

يعلو الضجيج

ويهتزّ سوطُ اللّظي في الزجاج  
وتنحلُّ أثقالُ جسمي، يموتُ الذراعان والمنكبان  
ويعمشي به مبضعُ الثلج والموت، ينحلُّ عضواً فعضوا  
ويهتزّ في عنفوان اللّظي طائفٌ ملك..  
تنأى سياطُ الضجيج التراي  
أخلو إلى فيءِ عينيك بين الحقول..

أرى بين عينيك ميلادَ كَوْنٍ  
ونافورة الخصب تسقيه خمراً وصحوا  
ويا طمي قلبي.. تحسستُ عينيكِ حتى أرى  
مَوْلَدَ الأرض فاصفرّ لوني  
وأحسستُ بالثلج يمشي خلال العظام  
وبالنار.. بالنار تجتاح رأسي  
وما زال يجري قطارُ الرماد الذي يلحق الصهدَ  
تحت النهار..

تعشش في صواري الموج شمسٌ برتقالية  
وأقمارٌ من الملح المفَضَّفُض والنجومُ الإستوائية  
وريحٌ من كنوز اليودِ والزُّرْقَة.

(دخلنا في طقوس الأرض  
وأفرغنا الدمَ البشريَّ في الصليبان  
وأشبعنا من اللحم المعذب شهوةَ السجان  
فَحَقَّقْنَا طَقُوسُ الأرض ..)

دخلنا في عروق العالم السفليِّ صفا بعد صفٍّ،  
واطَّرَحْنَا بؤْسَنَا الأَرْضِيَّ في جوف التوابيتِ  
دخلنا غُرْسَنَا اللَّيْلِيَّ، سرنا في الينابيع الخرافية.

دخلنا في عروق العالم الرمليِّ،  
في بوابةِ البحرِ  
سمعنا العالمَ التحيَّيَّ يضحك في كهوف الملح والظلمة



وَأَسْكَرَنَا عَيْرٌ طَيْبٌ مِنْ نَظْفَةِ الْأَشْيَاءِ  
رَقَصْنَا رَقْصَةَ التَّكْوِينِ فِي الرَّحْمِ الْهَيُولِيِّ  
وَوَغْنَيْنَا لَهَا:

فِي الْبَدءِ كَانَ الْمَاءُ  
وَفِي أَعْمَاقِهِ تَابَوْتُنَا اللَّيْلِيُّ يُنْتَظَرُ..  
(أَتَيْنَا يَا طَرِيقَ الْخَلْقِ وَالتَّكْوِينِ  
وَيَا شَمْسَ السَّمَاءِ الْبَرْتَقَالِيَّةِ  
خَرَجْنَا مِنْ فُصُولِ الطِّينِ  
عَرَاءً، فِي انْتِظَارِ خِلَاصِنَا وَنُبُوءَةِ التَّنِينَ)

وَصَدَّتْنَا عَنِ الْقَاعِ الْمُقَدَّسِ ظِلْمَةُ الْأَعْمَاقِ  
وَحَفَّتْنَا سَبَاحُ الْبَحْرِ، مُوسِيقَى مِنَ الْفَوْسُفُورِ وَالتَّوْتِيَاءِ  
رَمْتَنَا رَغْوَةً دَمَوِيَّةً بِضَفَائِرِ الْأَمْوَاجِ.

(هَنَا.. فِي مَوْجَةِ الْأَعْرَافِ  
تَفْتَحُ رَعْبُنَا عَنْ أَعْجَبِ الْأَعْشَابِ وَالْأَصْدَافِ  
وَأَعَشَّتْنَا النُّجُومُ الْإِسْتَوَائِيَّةَ

وحدّقنا انتظاراً لا نفتاح البحر عن أبراجه

الخضراء

وآيات الرؤى وبشائر التنين)

وأرعدت السحائب..

شقّ أعتاب المدينة خنجرُ البرقِ

و.. كانت صرخةُ التنين في الأفق

رأينا وجهه بئرَيْن من لُهب

وفي شدْقِيّة ألسنة البروقِ ورغوةُ الشُّهبِ

رأيناه يمزّق نفسه، ينصبُّ أمطاراً من الأسفلت والأحجار

ورعباً في عناقيد الثمار وصرخة عمياء في الأسوار

وأرضاً ضاق فيها المهْدُ واللحدُ

فتحنا الأعين الرّمداء

فلم نشهدْ سوى شمسِ المجاعةِ

صلَّبْتُنَا فوق جسر اليأس

١٩٦٦/١/٢٤

أغنياتٌ من زمن السنابل المحترقة :

تنويعاتٌ على ألحان شخصية قديمة

١- أغنية المسافر :

تَقَرَّحْتُ يَدَايَ من حلاوة الثمر

في ليلة التواصل العميق

يهجرني القمر.

لبستُ شهوةَ الهواء

أغنيَّتِي تَحْيِي، ومأكلي أرغفةُ الشكوك

ومشري من مطر السفر.

أحبّ في ملامح الوجوه صمتها  
أحبّ في الأشياء صوتها  
والليلُ خنجرٌ من الصدى والصوت في الضلوع  
نسيتُ أنني أحب أفرع الشجر.

تطوّحتُ يداي، دَوّختني الدماءُ في العروق  
وحينما وصلتُ عند بابك الخفيّ يا أمير  
سمعتُ صوتك الممزّقا  
يسيلُ في الحوائط المرتحلة  
مرتعشاً ومرهقا  
يقول لي:

تبحثُ في المشاهدِ التي تطلع أو تغيبُ،  
تبحثُ في الغرف  
لكنني أكون دائما بغرفةٍ مجاورة..

## ٢- أغنية الشحّاذة:

أرى سحابة اللبن  
تمطرُ أو تحطُّ في الصدور  
وولدي "منصور"  
يرقص في استدارة القمر  
وليلة المخاض لا تجيء.. غير أنني أحسُّها تدور  
مسرّجةً مطفأةً وشوكةً تطلع في الشدين  
ونخلةً تأكلها الصاعقةُ السوداء..

أري يمامةَ الدماء  
تفتح لي نوافذَ الفضاء  
أصرخُ:

يا منصورُ

يا قمرًا محترقَ الجدائلُ

يا مطرًا، يا نعمةَ السنايلُ

الوجه في استدارة الرغيف

والقمرُ المخيف

مكفَّنٌ في الثلج والرماد

معلق في السعف الأسود تحت قبة الفضاء..

### ٣- أغنية الطفل:

في الليل.. كانت الكئوسُ  
والزنبقُ البريُّ والسنبلةُ الخضراءُ  
أغنيةً بيضاء  
ترقص بين الرحمِ المليءِ والثديين.

كانتُ شجيرةُ الرياحِ والربابةُ المعلقة  
يمامةً تطير في حدائقِ النهارِ  
تلقطُ ما ينبت في العينين  
من حنطة الغناء..

الصمتُ والبلبل في انتظار

والكوكبُ النَّائمُ في مضغتهِ المَعْتَقَةِ

يبحث عن أسرار

كي يملأ الأرض - السريرَ بالضحك

ويملاً الأرجوحة - العالمَ بالأشعار..



#### ٤- أغنية الصبي:

خطا الصبيُّ خطوتين في الهواء  
رمى حصادَ يومه من الضحك  
وأخرستُ يده ما أسمع من ثرثرة الأشياء  
وحطَّ في الضلوع نحلةٌ مخمورةً..

خطا الصبي خطوتين في الضمير  
وأخرجتُ يده من صِداره القمر  
فانقشعتُ سحابةُ الأغنية الصديئة  
عن شمسهِ الخبيثة

بللها بريقه وحكَّها بشعره.. فتَوَّرتُ  
وعانقَ الهواء

خطا الصبيُّ خطوتين في الدماء

يحملُ من طينته القديمة  
أغنيةً هاربةً الإيقاع..

خطا الصبيُّ خطوتين في العروق  
يشربُ من سحائب البروق  
يصرخ في قافية الرعد..  
وفي الصدى ذوّب قلبه الصغير..

هـ - أغنية المغني الخائف:

في جسدي المحترق الدماء  
توجّع منطفئ مضاء  
ونجمتي المخضرة المدار  
تسقط في الأسرار.

جمجمتي - المدينة المخربة  
تسكنها يمامة الدخان  
نسيتُ - في الشواطئ المحرمة -  
سنبلة الغبطة والدموع  
أحمل في الضلوع  
أغنيتي المعذبة.

الْقُبْلَةُ الذَائِبَةُ الْقَدِيمَةُ

كالوشم فوق الشفة اليتيمة

والزمن الرملي والفصول

قصيدة تسقط في المجهول.

أصرخُ:

يا يمامةَ الهواء

يا زَنخةً من مطر الأصداء

الشعرُ في حنجرتي يموت..

## ١- أغنية المغني اليائس:

الكوكبُ المرتعشُ الوحيد  
يعبر - في خريطة الفراغ -  
المدنَ الثلجيةَ الغريبة  
يمدّ راحتيه من أشرعة المحيط  
فتلمع المراكبُ التي تُعشب في أحشائها أحلامنا الأرضية.

أردتُ أن أكون قطرةً مالحةً في ثبح المحيط  
ومركبًا تضم عاشقين - قاتلين - جثتين  
والقمر المفضّض الجريح

اللغة الضيقة الخرساء

أنشودة تضيق حول الرقبة

وحثي المعذبة

تحملني أحملها تنهشني تنهشها ذبابة الحروف.

٧- أغنية المغني الأخرس :

العالم - المرضعةُ التي تحملُ في الثديين  
سحابةً وقمرًا

تسكبُ جدولَينِ يطلعانِ في الأشجار  
والصمتُ في حنجرتي قصيدةٌ داميةٌ عميقة  
وآهة رقيقة

الصمتُ في غاشية الأحلام  
أغنيةٌ تهرب في الظلام.

تهجري يمامةُ الحروف  
يُمدُّ لي السماطُ بالأطعمة الغريبة  
والزَّهر الذي يُقطف من جنائن التخويف

والأكؤسِ الفارغةِ المليئة.

الليلُ تحت خيمة الأبعاد

يمنحني ساقيةَ المداد

يمنحني دفاترَ الأوراد

والقمرُ الممتلئُ الشدين

بالعشب والطحالب الملونة

يأكله الجراد.

يا شجرَ النعاس

فلتعطني فاكهةَ الأجراس

ولتعطني الأجراسُ..

١٩٦٦-١٩٦٥



## الحصانُ والجبلُ:

### قصائد

#### ١- القصيدة الأولى:

حصانُ الريح - عبر مفازةِ التكوينِ والخلق -  
تعلمُ رقصةَ البرقِ  
ودَحْرَجَةَ العواصفِ والشموسِ الخضرِ من  
عرقٍ إلى عرقٍ  
وتفجيرِ السطورِ الخُرْسِ في كراسِةِ الرَّعدِ الإلهية..

\* \* \*

تراكضُ في بوادي الصهدِ  
فانسكبتْ خَوابي الطينةِ الأولى  
وقامتْ في مسایلها المدائنُ والقبابُ،

وَفَجَّرْتُ بِالزَّيْتِ وَالْخَمْرِ الْيَنَابِيعُ  
وَشَدَّ صَهْلُهُ الْوَتَرَ الْمُقَدَّسَ فِي رَبَابِ الْأَرْضِ .

\* \* \*

حِصَانُ الرِّيحِ خَوْضَ فِي عُبَابِ الْبَحْرِ  
فَاشْتَعَلَتْ شَمْسُ الْعُشْبِ وَالْكَبْرِيتِ وَالزُّرْقَةُ  
وَأَزْهَرَتْ الصَّوَارِي الزَّرَقُ

وَامْتَلَأَتْ مِنَ الزَّيْتِ الْقَوَارِيرُ  
وَفُتِّحَتْ الْمَوَانِي الْأَلْفُ، وَانْفَجَرَتْ مِنَ الضَّوِّءِ النُّوَابِيعُ

\* \* \*

حِصَانُ الرِّيحِ مَرَّ هُنَا، وَأَبْطَأَ سَاعَةً بِحَدَائِقِ الشَّجَرِ  
فَلَمْ يُشْبِعْهُ عِنَقُودُ مِنَ الثَّمَرِ  
وَلَمْ تُسَكِّرْهُ أَقْدَا حُ اللَّقَاحِ الْعَبْقَرِيِّ

- وَكَانَ فَصْلًا مِنْ فُصُولِ الْجُوعِ -

تَمَرَّغَ سَاعَةً فِي الْوَحْلِ وَارْتَعَشَتْ قَوَائِمُهُ بَطْنِ الرَّعْبِ،

عاف حشائش الأرض الطفيلية.

حصانُ الريح مرَّ خلال أبواب الهزيمة نحو

أرض الصمت في برية التيه الخرافية..

حصانُ الريح غاصَ وغارَ في الجبلِ

وأطبقت الصخورُ عليه،

أنصتَ للمزامير السديمية

يفتّش عن بوارقها الغنائية

وحَمَحَمَ علّه يسترجع المنسيَّ من كراسية الرعد

ويرقص رقصةَ البرق الإلهية..

## ٢ - القصيدة الثانية:

في الحقول الحجرية  
غرسَ الليلُ جذوراً غجرية  
وأساطيرَ غناءٍ بدوية  
فارتوتْ في كبدِ الصخرِ الكرومُ الأزلية.

في الحقول الحجرية  
رئةُ الأرضِ حدائق  
وعروقٌ غُرِسَتْ في مدن الصمت لكي  
تسكَبَ في ظلِّمتها خمرَ الحرائق..

\* \* \*

ما الذي يسمعه الآن حصانُ الأبدية!!

ما له يركض ما بين العروق الجبلية  
ضارباً في عصب الأرض شراراً  
فالعروق ارتعشت ما بين شدّ وارتخاء  
نَفَضَتْ رِعْشُهَا أبنية الأرض جداراً فجداراً  
والبقايا من طول الزمن الأخرس والرعب اقشَعَرَتْ  
وأمالَتْها رُؤى الزلزلة الأولى انتظاراً..

\* \* \*

يا حصانَ الأبدية  
دُسْ عروقَ الأرض كيْ تحترق الأرض  
وتخضّرَ الدماء  
وانغرسْ في عصب العالم واركضْ في الجذور..

### ٣- القصيدة الثالثة:

أتيتُ - كما أثقلْتَنِي الموارِيثُ واستحكمتُ في دمائي

الشرِعة -

وشيوخوخة الدهر قد أضرمَتْ نارَها الفلكية،

فاحتَرقتْ كلماتُ الطبيعة

وأطعمني الصمتُ خبزَ الفجِيعَة

فجئتُ - كما طردتْني الوصايا -

من البحر والطرقات السحيقة

فأوقفني مولدُ الرِّعدِ بين العروق العميقة.

\* \* \*

أتيتُكَ - يا جبلَ البدءِ والمنتهى - باحتراق الجروح

وقد أخرسْتَنِي التجارِبُ،

حنجرتي احترقت،

وتكشفتُ عن عورتِي وتمرَّغتُ في طرقات الفضيحة

فجئتُ ليسترني شجرُ الإنتظار

لأسمع ما يتَهزَّم في رثيتك، وأغسل قلبي

بماء الشرار

وأكل من ثمر الرعد كي أسترِدَّ الغناء..

\* \* \*

حصانُ المخاض الطويل

يراقصُ قمرٌ من دماء

لتتفتح الأرض بؤابةً للعروج..

٤- القصيدة الرابعة:

ضَرَبَاتُ الْفَاسِ

تَغْرُسُ بِقَلْبِ الْعَالَمِ كِي يُخْضِرَ سَرَاجُ الْعَرْسِ  
وَيَطِيرُ تَرَابُ الْأَرْضِ لَكِي تَغْتَسِلَ سَمَاءُ الْيَأْسِ..

\* \* \*

سِيلُ الْأَبْنَاءِ

يَتَلَفَّتْ فَوْقَ حِصَانِ الرِّيحِ الْآتِي مِنْ رَحِمِ الظُّلْمَاءِ  
يَتَعَلَّمُ خُلُطَ الْأَلْوَانِ السَّبْعَةِ وَاللُّغَةَ الْعِذْرَاءِ  
وَيَرَاقِصُ سَيْفَ الْبَرْقِ..

\* \* \*

الْجِبِلُّ تَقْصِّفُ تَحْتَ الصَّاعِقَةِ الْخَضِرَاءِ

فَاخْضَرَّتْ فِيهِ جَذُورُ الْخَلْقِ



وانفتحتُ كراساتُ الرعدِ..

فمنّ يملؤها بالأشعار!!

١٩٦٦/٣/١٠

٥- تجسّد:

أمي.. ضربتها صاعقةٌ خضراء  
فانفجرتُ من قدميها العاريتين عروقُ الماء  
وتمايلَ في إبطيها النخلُ ودارتُ ساقيةُ الأشجار  
واختبأتُ في رثيها النار  
وتكسّرتُ في عينيها بحرُ العنبر والقصدير..

\* \* \*

أمي كانت تتقلّب فوق سرير الطلّق  
تسقيها شمسُ الصيف.. فيندفق الأبناء  
أمي ولدتنا دوّامات بشرية  
تتراكض، ترقص في الأبواب..

\* \* \*

أمي هجرتنا ذات مساء  
ركبت مركبة الهَيْضَةِ والبَلَّاجِرا والتيفوسُ  
فرضعنا خشبَ المقصلة السوداء  
وشربنا مطرَ السُّوسِ  
ودخلنا في غابات الخوف

\* \* \*

كنا في قلب النهر.. ولم يمنحنا العالمُ رشفة ماء.

صوت ١:

من يُنطقُ عنا الرعبَ الأخرسَ والأحلامُ  
من يشعل قمرَ الجوع المطفأ في بيت الأيتام!!

صوت ٢:

قلبي مسموم  
حنجرتي احترقت ضحكا

وانطفأتُ أغنيتي حبا وبكا  
وشبعتُ.. فقد غنيتُ طويلاً في أعراس البوم

### صوت ١:

من يأخذُ منا الصوتَ المحتبسَ المهزوم  
كي يحمل صوتَ الطمي إلى أعتاب الأرض !!

### صوت ٣:

سأصلي في ديوان الشعر صلاةَ النار  
ليكون الخبزُ الدامي صوتاً من الأوتار  
والرعبُ الأخرسُ قافيةً طينية..

### صوت ٣ متابعا:

من خوف الموت أموتُ  
فاختبئوا في كتفي المرتعشين

كونوا جسدي  
كونوا في حنجرتي صوتاً  
وانسكبوا في قلبي صمّاً  
وانفجروا في عينيّ الخابيتين.  
يا أبناء الزمن الأبكم  
كونوا في شرياني الدم  
لأجوعَ على باب العالم  
وأدقّ الحنجرَ في عينيه  
وأغرس قافية الخبز الدامي

كونوا قلبي  
كي أغرس في القمر المعتم  
رُمَحَ الأشعار..

١٩٦٦/٣/١١

## مملكة الانتظار والرعدة

### أحزانُ الشبح الأول

لو أن الشمسَ القاسيةَ السوداء  
قلعتكم عن غيطان طفولتكم ورمتكم في  
عربات الغربة والصحراء  
فخلعتم ثوبَ الدفء الأول  
ولبستم رُقَعَ الألوان الثلجية والديجور  
لعرفتم كيف أموت  
خطواتي كفني، غُسلي مطرُ المنفى،  
خبزي في كَفِّي هو التابوت..

\* \* \*

الجسرُ الواصل بين شتاء القلب وصيف الجوع

عرّاني - إذ أدخلني في عينيكِ الواسعتين -

فرأيتُ العالمَ يرقص بين الزئبق والتوتياء

ورأيتُ شجيرات الحناء

تنسكب حمائرُها البنيةُ في أطراف

ضفائركِ المحلولة والكفين

ورأيتُ الله

يطردني من بوابتكِ الخضراء

موصوماً، في قلبي ضَبْحُ الجوع،

وفي شفتي الآه

تتجمدُ في صمت الأشياء

تتَفَتَحُ نوافذُ لا تعبرُها الشمسُ ولا تسكنُها الريح

تستلقي في أسفلتِ المنفى،

تركض في صحراء الزحمة واللغة الجدباء

\* \* \*

القمرُ المعتم تحت سماء اليأس

صَلَّبني في ألوان الأعين،

طَوَّحَ بي،

فدخلتُ شقوق الأرض

وانسكبتُ في رثيَّ مياه الخلق

وأُتيتُ إليكِ غريبَ الوجه ومُحْتَدَمَ الكلمات.

أرأيتِ اليومِ الأول حين تفجَّر قلبي بالآيات

أرأيتِ العامِ الأول حين انطفأت فيه الشمس

أرايتِ السنةَ الكبرى حين انحَلَّتْ رابطةُ الأشياء

واشتعل سديمُ البدء، امتلأتْ بطنُ الطينة بالأبناء

فعرفتُ ملامحَ وجهي المنتظر المحموم

يتربَّعُ وجهك - يا نقالة رُوحِي في طرقات البغض -

يسترْجِعُ طعمك - يا ثمرَ الزَّقُّوم - !!

\* \* \*

هذا وجهي .. امْتَسَخَتْ طَيِّبَتُهُ الأحران



وانغرست فيه تجاعيدُ النسيان

هذا وجهي..

كنت صغيراً مزدوجَ الاسم.. فصرْتُ بلا أسماء

هذا وجهي..

\* \* \*

النعشُ الأول يطلع لي في طرق الحيرة والتغريبة

النعشُ الأول يطلع لي

فأراك الآن.. صدّى منطفئاً يحمل ما أفقدني

العالم من آيات الطيبة

وأشَمَّ ضفائركِ المخضوبة

وأحسُّ روائح بيتي الأول والجدُّر المطولة بالأنداء

وأراني أرقص في عينيكِ خلال الزئبق والتوتياء

أتحسّس صوتي الأول في شفتيك الصامتتين

وأراني شبحاً جاء من النسيان

والنعش الأول يطلع لي..

\* \* \*

كنتُ صيباً

وعرفتُ شعائرَ دفنِ الموتى دون بكاء

كنتُ صيباً أتسلّقُ فرْعَ الشمسِ ..

فعدتُ وفي جنبيّ الداء

وأُتيتُ إلى أبوابكِ ذاتِ مساء

فأُخِدمُ العالمُ واختلطتُ موسيقى الكون

ودفنتُ الميتَ في ناموسِ الفوضى،

انسربتُ رُوحِي في شهقاتِ اليأس

انطفأتُ في شفتيّ النارِ ..

الجسدُ - الجثةُ قد طرحته طقوسُ الموت

فمررتُ خلالَ تناسُخٍ وجهي في تاريخ

المحو وريح الخلق

وابيضَّتْ عيني حين انفجرتْ شمسُ العالم

تحت سماءِ الخوف

وصعدت السِّلْمَ في ألوان الطيف

فتخلَّقَ وجهي - في شرقةِ الظلمةِ والأضواء

وأُتيتِ إليَّ وفي عينيكِ الشبحُ الأولُ والأحلام

فارتعشتُ غيمةً حزني،

حطتُ في شفتي الرعدةُ والإنكار

فابتعدي.. كرمةٌ رוחي تنتظر الأمطار

والشبحُ الأولُ يحمل في جنبه سيوف النار..

١٩٦٧/٤/٦

## زائر الليل

كانت عيناه الخضراوان  
حلمًا يتخبطُ في أسفلت الشارع والجدران  
كانت آياتُ براءته عطشًا مدفونًا في الإنسان.  
ألقى حبلَ حصان المطر الأخضر في أوتاد البرق  
وتسلَّلَ عبر الغيم  
ليزورَ النومَ الراقدَ في سُرُرِ الأطفال  
يُطعمهم أو يسقيهم من ساقية  
العسل الأخضر والأشعار..

\* \* \*

كانت قدماه الطيبتان  
والجسدُ المرتعشُ العريان  
يتسلَّخُ فوق صواري الليل  
وانغرست في جنبه عواميد الصوَّان  
فانطرحَ على أطراف الأسطح والأبراج

مصلوباً ينزف، تنهشه قططُ الظلماء..

\* \* \*

السمك الأسود يقفزُ في تيارِ الدم

ويفرُّ: قطاراتٍ ملأى بالبشر الصُّم

أبواقاً تنبح، جنّا تصرخ في قمقم

أصواتاً تصرخُ في حنجرة الأسفلت:

مَنْ في جوف الظلمة مات

ومتي سيحجف الدم؟!!

١٩٦٥/١١/٢٥

كانت الأرض سريراً للرياح المسرعة  
فوقه ألحفةُ العشبِ،  
ورؤيايَ اخضرارُ الزوبعة  
كان يمتدُّ.. فأمتدُّ وأخضرُ معه.

أثمرتُ في الروايِعُ شُموسًا شجرِيَّةَ  
ولغاتٍ غجرِيَّةَ  
كنتُ في خابيةِ الصيفِ نبيذًا دمويًا  
كنتُ في أقبيةِ الأرضِ عصيرًا قمريًا  
حيثما غمغمَ في الأرضِ تدلَّتْ بالعناقيدِ الكرومُ

طَعِمْتُ شَمْسُ النّهار  
جِيفَ الأَرْضِ وبُؤْسَ الشّجر  
أولّمتُ من ثمر الرّعب،  
استضافتُ قمرِي  
أكَلته جثتي واستنزفتُ خابيةَ العمر المُرير  
ورمتُ مزبلةَ الأرض بأقْباء العَصِير  
فأحالتُ جسدي المُرْتعدا  
طينةً ناشفةً في قدَميها، وصدى  
من مزامير الجِماعَة  
جعلتُ ذاكرتي تطفح في ليلة عُرسِي كَمَدا..



حينما التفتُ بعينيك الشجيراتُ الغريبة  
سقطتُ شمسُ الفصول الشجرية  
هربتُ في منبت الشعْرِ عبيرا  
رقصتُ وارتعدتُ في قاعِ نهديكِ زفيرا  
غطستُ في شفتيك  
نُبَعِ خشخاش وطيبة  
آه يا بوابة الأرض الحرام  
لعنتي تطردُني - للَّيل - منك..

زحف المشرق والمغرب نحوي  
زحفت نحوي الصحارى والشطوط  
قيدت في وتد اليأس رياحي المسرعة  
صارت الأرضُ جداراً في الزوايا الحجرية  
آه يا ألحفة الشعب.. لقد صار السرير  
حرقةً تخرق الصدر، ورمحاً في الضمير  
لم أعد أملك من تلك الخوابي القمرية  
غير حلمي باخضرار الزوبعة..

١٩٦٦/١/١١

(مبحرٌ في النهار

لا أُرَجِّي المقرَّ

قبلَ يومِ الفرار

قد يجيءُ القمر

من ظلامِ القبور..)

أحدّق في النهر طول النهار

فأنظرُها.. خلعتُ ثوبها الداخليّ،

وألقتُ ضفائرها عُشْبًا في الجسور

ودقتُ خلاخلها الذهبيةَ

وانطرحتُ في الصدى

وتغنّيتُ بيومِ العبور

وخاصَرها الموجُ قنطرةً بعد قنطرةٍ

فتفجّر من ثديها فرحي وعذابي  
تمايلتُ في مأتمي طرباً وسمعتُ من العُرسِ المستباح  
دفوفاً تنقر توقيعاً الموت قبل البداية  
سمعتُ الشرائط من ورق القصب انفجرتْ بالشكاية  
وبالصرخات التي طمستْها الرياح  
فأرجعني الصوتُ،  
ذكرني رجّعه الدمويُّ الرهيب  
بأنّي خَلَفْتُهَا طُعْمَةً للجدور..

\* \* \*

(مبحرٌ في الدماء  
لا أرى غيرها  
قبل يوم اللقاء  
أبتني قبرها  
في ظلام الصدور..)

عروسي التي خطفتها يدُ الموتِ قبل الزفاف  
على هودجِ الموتِ كانت تبعثُ من بركات الدِّما  
في الضفاف

وفي الليل كانت مجزأةً..

تتفرَّغُ منها الحقائقُ

يصفرُّ من شعرها القمحُ، يحمرُّ منها القصبُ

توحَّدَ في صوتها الشعرُ والرعبُ،

حطتْ على شفتيها سحائبُ صمتٍ

وأُمطرَ في شفتيها الحوار

وغنَّتْ بمأتمِ روعي وانتحبتْ في الأغاني الحِرارَ..

\* \* \*

تجسَّدَها الطاعمون.. ومُدَّتْ عطايا شجيراتهما في

طقوس الوليمة

تكوَّرَ من ثديها كلُّ ثدي وطارَتْ ضفائرها في الغمامة

على صدرها رُضِعَ الأرضُ قد رضعوا اللبن المستحيل

إليها يسيلُ التوالُدُ، منها تجئُ القيامةُ  
تخطُّ على كل شيء علامة  
وتصرخُ هامتها من توجُّعها للخلاص  
وترقص في عتبات الدَّجي والنهار  
فَيُنشِبُ إيقاعُ رقصتها في دمي مخلبه  
ويصرخُ بي: القصاص.. القصاص..

\* \* \*

أحدق في وجهك المستدير  
أيا قمرًا طالعًا في ليالي التناسخ والزَّمهير  
وأبكي. مُعْتَرِبِي ويمزقني صوئها المستجير  
فأهربُ في كل فجٍّ،  
يطاردني صوئها المتهدِّجُ في كل شيء،  
ويصعدُ من ردهات الضمير..

١٩٦٧/٣/١٨

## الثابت والمتحرك

تظللنا هذه الليلة القاسية

بما احتبست تحت سقف الهزيمة

من الصهد والثمرات المريرة في شجرات النهار

وحطت بأعشاشها الدامية

عصافيرُ غربتنا،

وتفحّم فوق حدائقنا قمرُ الإنتظار

وفي مخدع الزمهرير

تَعْطِي بِالْحَفَةِ الرَّعْبِ مَسْكُونَةُ الكائنات القديمة

ويرشّحُ في رثتها الحنانُ الأليم..

\* \* \*

بعينيَّ شمسُ الألوهية المطفأة

يؤرّجُحُها فلكُ المتحرّكِ تحت السماء

وَيَمْلؤها مطرُ الدهشة المرجأة  
وتجذبها طرقاتُ التوحدِ والإنفتاح.

بعينيَّ تصطرعُ الإنعكاساتُ،  
يجري التداخل بين الجوامدِ  
يَدْفُقُ ماءُ التغيُّرِ فوق السطوح  
ويولدُ في سنبلِ الممكناتِ المليئةِ  
قمحُ الغرابةِ والمستحيلِ  
فما كان ليس يكونُ،  
وما لا يجيءُ.. يجيءُ إذا ما تفتَّحَ بابُ الجروح  
وينمو بأبحرةِ الموتِ فوق الجماجمِ عشبُ الفصولِ.

بعيني عصفورةُ البرقِ قهبطُ في رقصةِ فوضويَّةِ  
تحاصرني وتهاجرُ بي وتحطُّ بأصقاعها البربريةِ  
وتهجرني في ظلامِ المجاعةِ



فأدخل أرض الفجيعة  
أمدّ يدي في قصاع السقوط  
وأكل منها ثريدة أسفاري الخائبة  
وأبدأ في رحلة اليأس نحو التحوم التي تبتعد ...  
\* \* \*

أرى الأرض والطبقات القديمة  
تُلملمُ أبعادها،  
ثم تغسل كنز ركازاتها في الدّما والدموع  
أراها تقيم وترقص رقصتها الدموية بين الضلوع  
وشمس، وأشجارٌ وريح، وفاكهةُ الزمن الداخليّ الحميم  
تظلُّ على شجر القلب..  
تشربُ مني  
وتسقط لو شربتُ من مياه الفصول..

١٩٦٧/١٠/٢٠

## انتظارُ شجرة

أراها.. على كل مُفترقٍ خلعتْ ثوبها  
وقفتْ تحت نافورةِ الليل والشمس  
واغتسلتْ في مياهِ الفصول  
أراها تكابدُ - في غبطةِ الإخضرار -  
تفتُّحها تحت نارِ التفريعِ أو عُريها في ارتحالِ الغبار  
وترحل في هالةِ الشمس طولَ النهار  
فتطلق من جوفها رغبةَ الضحكات العميقة  
طيوراً تُهاجر في سَلَمِ اللون،  
تعطي المسافة  
تجسُّدها المستديرُ  
وتمنحُ خطَّ الفراغِ انحناءً،  
وتخضن في ظلِّها كائناتِ الهجير

فتمزجُ تحت الرياح - السقيفة  
مياه التخلُّق والرمل والكلمات - الرموز..

\* \* \*

هنا.. الصمتُ في رحم الكلمات  
تمدَّد في النطفة الأبدية  
تخلَّق وجهًا وحنجرة ذهبية  
ومدَّ يديه إلى الزمن المتسكِّع في الطرق الجانية  
هنا الصمتُ يأكل من ثمر الأحرف اللؤلؤية  
ويهرب عبر التخوم القديمة  
ويغسل بالريح أرضَ الوليمة  
هنا الصمتُ يبني بمملكة الأبجدية  
ويرفعُ طمي الشعائر سنبلةً في الحصاد الخبيء..

\* \* \*

إذا زحف الليلُ.. أقفلتُ بابَ الحواسِّ  
لأمضغَ ما قد مضغت طوال النهار  
من الضحكات المريرة والإكتئاب الفرح

وأطلقتُ في وطن الليل مُهَرَّ النعاسِ  
ليصعدَ بي سَلَمَ الرمزِ أو يتقدم في الغابة المعتمة  
فيمنحني دهشةَ الأعين المفعمة  
بشمس البداية والقمر الأثنويِّ العظيم..

\* \* \*

أراها تسطّر تاريخها الحيّ في كتب الطحلب  
الزغبِيّ افتتاحاً

وفي كتب العشب نسغَ اخضرارٍ  
وفي كتب الورق المتجدّد يغلي التداخلُ والإختمار  
وفي الزهر تستقطرُ الشمسُ،  
تعجن في رثيّها لقاحَ العناصرِ،  
تَمَلأُ سَلَّتْهَا بالثمار

وتقفز عبر توارينها الشجرية

موأناً طلوعَ

خريفاً ربيعاً

تسَطَّرُ في الثلج والنار آيَتها العبقريّة  
وتسرع في عربات التوالد،

تصعد منحدرات الفصول  
لتصبح أولَ ما أطلعتَه الخلائطُ،  
آخرَ ما أطلعتَه العناصرُ في أرضنا الدمويّة..

\* \* \*

تُعْرِغُ في دَمعة الحبِّ  
تغسل إيقاعها في دم القلبِ  
ترقص عبر المنايا البعيدة  
ويخنقها معجمُ الرعبِ  
تُولدُ في معجمِ تَتَأَكَّلُه النارُ  
تفتح أبوابها في الرياح الجديدة  
وتأخذُ من كَرَمة الفرح الداخليِّ العظيم  
حلاوتها، والمرارة من عندليب البكاءِ العظيم  
وتغضبُ منّا بنا

وتفرُّ بأقمار أحلامنا

وتهمزُ مراقَدنا المعتمة

لتصبح أولَ ما حملته الرياحُ

وآخرَ ما قاله البرق والرعد

في شفة البشر الواهة ..

١٩٦٧/١٢/١٥

## مَدِيحُ ثَدِي

كانت شعيراتُ الزَّغْبُ  
تظهرُ في الضوءِ وتختفي  
كان تفتُّحُ المسامِ  
يَنشَعُ في اللِّفائِفِ.

\* \* \*

كان احتدامُ اللونِ في الدائرة الصغيرة  
عصفورةً تفتحُ في الشِّفاهُ  
منقارَها الدافئُ.  
والعروقُ  
ترقصُ في جنائن التكويرِ.

\* \* \*

هذا انفتاحُ النبعِ في الضلوعِ  
مرتعشٌ بالصوت والغبطة والدموعِ  
يحملُ في تياره سنبلةَ الأسطورة المليئة

بالشعرِ و النبوءة  
والخلق والمشئة  
والهزم والرحيل في أزمنة الغبار..

\* \* \*

تهدمت أبنية المسكونة  
وانطفأت مسرحة المدينة  
وأطبقت عباءة الظلام  
والزمن الطالع في سنبلة الأحلام  
بالخيل والغيمة والأشعار  
منتظر في جوفه الأبيض كي يجيء  
مفتتحاً شعائر النهار..

١٩٦٧/٩/٢١



كتاب الأرض والدم

obeikandi.com

صرخة اهداء

(إلى ولديّ الطالعين من دمي عنقودين  
من عناقيد الحلم وشجاعة انتظار الشمس:  
إلى ناهد ولؤي).

obeikandi.com

## مفتّحٌ صغير

كنتُ أظنُ شيئاً قد حدث، أو يجب أن يحدث، بعد أن جاء الشبحُ الذي لم يره أحد - هكذا قال لنا من نجا - وترك على وجه العناصر المتخالطة بقعةً هائلةً من الدم أخذت تتسع شيئاً فشيئاً، حتى أنها لم تترك داراً إلا وأصابتُ بابها بعلامة، ولم تترك يداً إلا وعلى أصابعها شارةً اتهام.

كنتُ أظنُ أن شيئاً يحدث؛ ولكن الوقوف على الحافة لا يكون بديلاً عن الوقوع في الهاوية.. وهأنث.. أيتها الساعات الدامية.. مازلتِ مقتطعةً من سياق الزمن.. لم تدخلني في نسيج الأيام.

كنت أظن أن شيئاً كلياً يولد من المزق التي تهرأت، وأن  
الساعات الدامية ستطلق من الأفق الشرقي قمرَ اليتيم والفجيعة  
مؤذنا ببدء سخونة الأرحام وطقوس الولادة الكونية.

ولكنك أيها الشبح العظيم، أيها القاتل الرحيم، أيها المطهر  
الرحيم، وقفتَ عند الحدود المغلقة، لم تدخل البيوت بعد..  
تراجعتَ سريعاً بعد أن أشرتَ بأصبع الاتهام في الجهات الأربع،  
وقام سورُ الصمت بينك وبين الزحام.

أعرف أن شيئاً يحدث.. حتى تظل الساعاتُ الداميةُ بعيدةً عن  
سياق الزمن، وحتى يُعطي اسمٌ آخر لبقعة الدم.  
ليست المسألة أن نرقع الثوب، المسألة أن نستبدل الجسد..  
شهدنا ونشهد..

١٩٦٩/١١/٢٢

## بؤابة طليطة

- ١ -

لبستُ قناعَ التنكرِ عَلَيَّ أسوح بليل المدينة  
وأدخل - عبر شوارعها وظلام أزقتها -  
فأخوض في جوٍّ أحلامها ورؤاها الدفينة  
(وعلى رجال الدرك  
يقولون في الصبح: كان هنا  
وتفقدنا واحداً واحداً، وتفقد صمتَ الرعية،  
أحزانها ومخاوفها، وتفقد قُفْلَ السكينة  
وأبوابها الخشبية)

وقابلني دركيُّ - رأى كلَّ من جلسوا فوق عرش البلاد

وعلق في طوقه المتهدِّل مفتاحَ ميراثهم

وأقنعةَ الأوجه الملكية -

أشار.. فأسقط عني قناعي

-: هنا الباب.. هل جئتَ بالقفل حتى يتمَّ العماد!

فكلُّ ملكٍ له عُروَّةٌ في الرتاج

إذا وضع القفل فيها تنفَّس أسلافه واستراحوا

وقدَّسه وارثوه..



تَحَذُّ - من اليأس - سور المدينة

كتابي وحجي

قرأت توارىخها ورؤاها وأورادها ونوافلَ

أعيادها البربرية

وقَلَّبْتُ في كنزها المتجدد من عربات النفاية

وميراثها المتعفن بين المزابل.. كانت عصارةُ

أحزائها وخطاها بقايا طعام رخيصٍ

وعَقِي مواليدها ومداميك من غائطٍ

ورأيتُ القشور وقد مُضِعَتْ مرتين وحطتُ

حروفُ التهجي ذباباً يطنُّ بأسماء أبنائها أجمعين..

يقول لي الدركي:

"وكان أبوك الملك

يجيء و يسألني عن جذور القبيلة

وأفرع أنسابها واختلاط دماها

فأحكي وأحكي

ويسألني عن طقوس الرّثاج وباب المدينة

فأبكي وأبكي

وأصمت"

زرعت على القبر زيتونةً (في رؤى النوم)  
مدّت ظلال الفروع  
وأثقلها الزهرُ حتى انْحَنَتْ..  
كنت من فرحي أتشققُ  
كالطمي من قهقهات الدموع  
وتطلع من جسدي غابةً وتشق السنابل  
مطالِعها في كتاب الضلوع  
رأيت الغمامةَ حبلً.. ومن خلل الماء فيها  
رأيتُ شرارةَ برقٍ تطير بزيتونة الحلم،  
تَهْوي بأفرعها الموقدة،  
تشق الحجارَةَ عن ساكني القبر،  
أُمي تَجِر بقايا الكفن

ويصعد هيكلها الشبهي وتصرخ جوعاً لكسرة خبزٍ

وحفنة ماء

وتصرخ.. تصرخ.. يرفعني صوؤها من غواشي المنام

فيسقط عني قناعي

وأدخل مملكة الجوع..

تاجي على الرأس، والصولجان رتاج وقفل

صديء..

وفي ظلمة الليل.. كنتُ أرى الحاشية  
تتمهم في الردهات الوسعة  
وتنسج من غمغات الفجيعة  
صدى يتهدّل فوقى ببق الوسوس  
وخوف العدو وخوف الصديق.  
فجئتُ وحيداً.. وناديتُ من جلسوا فوق عرش المدينة  
أردُّ لهم كلّ ما أورثوني  
وحطمتُ بابَ الطقوس القديمة،  
خلّعتُ أقفال تنويجهم ودخلتُ البناء العتيق  
أقلب عينيّ بين التصاوير..  
كانت وجوه الملوكِ

بكائيةً تتتابع (هذا أنا يا ملوك الفجيعة

أردّ لكم نسي) وأرى عند خط التقاطع

تصاويرَ وجهي المطارد

وسيلَ الجيوش الغريبة

يُسيجُ مملكتي المستحمةً بالدمع والدم،

كانت سطورُ النبوءة

عناقيدَ من صرخات القبيلة تحت السناكب..

(هنا أعين الراحلين

مُفَتَّحةً، والأكفُ على مقبض السيف

معروقةٌ يابسة

ووردُ الجراح يحف ويلتف تحت نسيج العناكب

فيا أولَ الداخلين

تأملُ ملامحَ وجهك فوق الحوائط

وجَهَّزْ خيولك

لترحل - قبل اندفاق الجيوش الغريبة -

لمنفاك بين الزمان وبين المكان..)

أراهم يجيئون تاجاً من الشوك حول المدينة  
يضيق فتتفر من ناظرَيْها الدماء  
ويصطبغ الخبز والكلماتُ الحزينة  
أراهم رؤى في العيون النواعس  
وهممةً في عيون الأخلاء تجدلُ باقاتِ موتي.

(صفوفُ السبايا تدور  
ويلمع ضوءُ الميادين، تُقرخُ في واجهاتِ المتاجر  
طيورُ الإشاعات..

يا أول الداخلين  
تأملُ رسومَ الخرائط  
وأرغفة الأرض إذ تتاكلُ تحت السيوف  
ويا أول الداخلين

تَقَبَّلْ مَصِيرَكَ

وَجَهِّزْ خِيُولَكَ

وَزُودَاةَ السَّفَرِ الْمُتَجَدِّدِ.. لَا أَنْتِ حَيٌّ

وَلَا أَنْتِ تَدْخُلِ مَمْلَكَةَ الْمَيِّتِينَ..)

وَفَوْقَ يَدَيَّ.. كَانَ وَشْمُ الْفَرَّاشَةِ

وَجَنِّيَّةِ الْبَحْرِ وَالزَّهْرَةِ الطَّالِعَةِ

بِكَاءٍ تَحْمَدُ..

١٩٧٠/١١/١



## إيقاعُ الغرق

### ١- غزالةُ الشطوط البعيدة:

رأيتها جبلي

في وجهها من كَلَفِ الحملِ علامةٌ، وساعة  
يقفز عقرباها الأحمران كلما تكوَّرتْ حجمَةُ الجنين  
وصدرُها المثْقَلُ في حمائل الرضاعة  
ترشح منه الحلمةُ المقطوعة  
ترسم فوق البطن زهرةً وخوذةً وعربة  
وفرسًا بلا لجام..

أراكِ يا غزالةً بريّة

طريدةً رشيقةً رشاقة الموت،  
وعذبةً كالليلة الصيفية  
عذابك الدفينُ - كالأغنية المنسية -  
لما يزلُ مكثفًا وحاضرًا..  
أراك تحت الغيمة المشوية  
في ملتقى البحرين تغسلين جرحك النازفَ  
بالمالح وبالزبد  
تُراوغين الأعين الشاحصةَ المفرَّغة  
وتعبرين النهر خلصةً وتدخلين وطن الأشجار  
وتصبحين شجرةً..

## ٢- الأرض القديمة:

رأيتها في صكوك الإرث مكتوبة  
سِفراً من الإنسان والإزميل والحجرِ.  
غاباتٍ أيدٍ ترعرعُ في دم الشجرِ  
وأوجُها من حميم الطمي مجلوبة  
منسوجةً بالفروع الخضر والثمر  
وأعظماً غالبتْ أكفانها، انقلبتْ  
فراشةً حمراءَ مخضوبة  
بالنارِ والغيمِ والرَّهَجِ الدوّارِ في السفرِ..

\* \* \*

كانت صكوكُ الإرث مختومة  
بختامٍ ملتهبٍ وأحرفٍ مشوية

وكان في أطرافها من سلة الأيام

زخرفة كوفية

وأثر القوافل المعبّرة الأعلام

والزحمة التي تشبه عش البومة

وطرّة السياف والإمام

والصرخة المكتومة

\* \* \*

حين تقصّفت أصابعي ويست مفاصلِ الراحلة الملعونة

وقفت في الصحراء تحت الشمس

أنتظر الطغراء والأوامر الميمونة

كي أستطيع الهمس

وقفت في الصحراء واجماً مُقنّعا أنظر جلد الأرض

مستبدلاً منتسخاً مرقّعا

وكلما تبتت الشمس رماحها الحمراء في جمجمتي

قطعتُ رحلة الوقوف بالقراءة..

(أُخْرِجُ مِنْ غِيَابَةِ الْعِبَاءَةِ  
صَحَائِفَ الْإِرْثِ الْمُقَدَّسَةِ  
وَكَلَّمَا تَحَرَّمَتْ سَطُورُهَا بِالْأَرْضَةِ  
تَهَدَّمَتْ مَدِينَةٌ عَلَى رَعُوسِ سَاكِنِيهَا  
أَوْ سَقَطَتْ تَحْتَ نَعَالِ الرُّومِ قَلْعَةٌ أَوْ مَمْلَكَةٌ  
أَوْ زَحَفَتْ حُدُودُنَا وَسَوَّرَتْ مُوَاطِئَ الْأَقْدَامِ..)

لَوْ أَنَّ هَذَا الشَّجَرَةَ  
لَمْ تَجْدِلِ الْجَذُورَ لِلْأَعْمَاقِ  
لَوْ أَنَّهَا لَمْ تَطْبِخِ الضَّوْءَ بِجُوفِهَا وَتَغْزِلِ الْأَوْرَاقَ  
لَمَا تَمَلَّكَتْ شَيْئاً عَلَى مَمْلَكَةِ الصُّعُودِ وَالْهَبُوطِ  
تَمْتَدُّ فِيهِ أَوْ تَطْرَحُ ظِلُّهَا الْمَنْقُوشَ بِالزَّهْرِ..

أَرَاكَ يَا غَزَالَةَ بَرِيَّةٍ

تنتظريني خلال كل جبلٍ بجوف كلِّ شجرة

وتركضين في الغمامة المسافرة.

لو نبتتُ أصابعي المقصوفة

لكنتِ - يا غزالي البرية -

صبيةً فتيةً

تمنحي كعكتها المقدسة

وشالها المهدودبَ المنقوطَ بالسنابل الحمراء..

### ٣- أزهار حجرية:

في الغرفة الموحشة المخيفة  
كان القنوطُ وتدأ،  
والليل والنهار  
كانا قميصين معلقين فوقه  
(إذا لبستُ سُرَّةَ النهار  
صرتُ قناعاً ضاحكاً مبتسماً،  
إذا لبستُ سُرَّةَ الليل.. أحالي الليل الطويل  
مسمعا ومسبحة  
وحينما يندلق الكلامُ من قارورة التثاؤب الملول  
أسقط في فراش الشوك  
حاملاً على يدي جمجمتي المخربة)  
بين قميص الليل والنهار

رأيتها فراشةً مغتربة

حطت على قنينة العطر تودُّ لو تفتحها

ومسَّحتُ جناحها

علي بقايا علبه التجميل

\* \* \*

عاسلةُ النحل المعذبة

طاردها في أفرع الشمس والنوَّار

زهرٌ من المييد الحشريِّ والغبار.

\* \* \*

كانت علي زجاج النافذة

منهومةً للشم والسمع وللإبصار

ودخلتُ من فرجةٍ ضيقةٍ حطتُ عليكِ

يا والدتي الثرثرة البكماء

وعشَّشتُ في شعرك المصبوغ بالحناء



وحوّمت على وجهك مرةً فمرةً  
فلم تجدْ عليه غيرَ عطركِ الرخيص  
وغير مسحوق الطباشير وأحمر الشفاه  
فحوّمت على أصيص الزَّهرِ المرسوم بالجِصِّ على الجدار  
تشتار من ألوانها الحوشية  
ذكرى طلوع الشمس في جيوب العطر واللقاح..

حين رأيت الأرض - في الرؤيا - مسافراً

يبحث عن فسقية

يغسل فيها عينه الرمداء بالرمل وجرحه النّاعر في اليدين

يبحث عن خانٍ يبيت فيه ليلةً،

يسأل عن قافلة منسية

يطرح في حُدائها الخوف.. يصير جملاً منفقى العينين

أو وتدّاً في خيمة القبيلة

تدقه في مأتمٍ أو عرس

أو أثراً تطمسه الرياحُ أو رحى تسكب فيها الشمس

سنابل الموتى وحنطة الأحياء

أو حفرة ينضح منها الماء

قلتُ له: لا تبتئس.. فالليلُ في المدينة

كلبٌ مجوَّعٌ يبحث عن عشاء.

\* \* \*

رأيتها - فيما يرى النائم - تاجرًا

يحمل في صُرَّته المقطوعة

تَمَرَ الفصول الأربعة

رأيتُه يدور في مفاوز المسكون والمهجور

محتدم العينين بالصهد ممزق الثياب بالمطر

حتى إذا جاء المدينة المرقَّعة

- بالضوء والظل ولافتات الموت والحياة -

انشقَّت الظلمةُ والستائرُ المرفوعة

عن وجهها الطالع من شجيرة القمر.

قالت له: من أنت؟!

قال لها: نواةٌ صلبةٌ ناشفةٌ في تَمَرَةِ الأيام

قالت له: ماذا يُلين قشرتك

ويضرب السكر فيها والعناصرَ الأرضيةَ الوهَّابة؟!

قال لها: أن أبدأ السفر

بين عروق القلب والنهدين

وأن تعلّمني لعبة السيف وشهوة الغرق.

\* \* \*

رأيتُه - ملءَ خلايا جسدي -

مشتعلاً من شهوة لليأس والنسيان

مرَّغَ وجهه بصدرها العريان

لكنه في لحظة استراق السمع للجسد

رأى احتدام اللون في دوائر الثديين

حديقةً باكيةً وشجرًا محملاً..

رأى رصاصتين

تنطلقان بالضحك وبالبكاء

تنغرسان في اللحم وتثقبان خيمة الهواء

وتأخذانه في السفر الليلي والضياع تحت الشمس.

قال لها: يا طفليتي القديمة

فلتعصي رأسي بشالك الأسود

(كان يظنه أبيض  
مزخرفاً بالبقع الحمراء)  
ولتمنحيني كسرةً مغموسةً بالماء  
وانتظري تمام دورة الأشياء  
حتى أعود بالجراد الذهبي حينما يطلع  
من طقوس البيع والشراء..

## ٥- غناء على الأبواب المائة:

كان أبو الهول مغنياً في طيبة القديمة  
في صوته تنفلق الأحجار  
عن مرح الأسماك في عمائق النهر،  
وكانت العناصر المقدسة  
إلهةً مليئةً التدين بالعشب وبالأشجار  
أو صرخةً شاهدةً على المربع المدنسة  
وكانت العنقاء  
رفيقة الليل التي تُبحر من تجسّداتها مراكبُ  
الشمس وتسقط الأمطار  
ومن شرارة احتراقها لفائف البرديّ والدواة  
والقلم المشقوق والأشعار..

\* \* \*

غنيتُ في أزمنة القصور والخرائب  
ودقني الحراسُ وتدًا في وخم الزرائب  
أنظر لانعكاس الأنجم البراقة

في أعين الأبقار  
أدخل في فسفورها مستدفئًا، أحلم بالخروج  
في لبن الضروع.

وأنت.. يا رفيقتي العنقاء  
ما بين عينيك وبين اللمب الليلي  
ينسج عنكبوت اليأس قمرا من ماء.  
ما بين صوتي - يا رفيقة القصائد المحرمة -  
وبين أذنيك.. مسافة الصحراء.

\* \* \*

في وخم الزرائب الليلية

حلمتُ أني عشبةٌ طريّةٌ

تعبّر بين الفرث والدماء

علك - يا أصابع العنقاء -

تحولّينها إيماضةً غصبي

في الأعين السوداء

(لو كانت الأعين تأتي مثل أعين الآباء

وانقطع الزنا)

وتمنحيني قداسة الغناء في مدينتي

وزهرها الطالع في أبوابها المائة.

\* \* \*

بعد انقطاع الطمث

لَفَقَّتْهُ لَفَقَ الثياب

دخلتُ كلَّ حفرةٍ دخلتُ كلَّ رَمَسٍ

جَمَعَتْهُ من كَسِرِ العظم ورقع الإهاب

غسلته تحت خيوط الشمس



وهبته من بركات الرب في التراب  
ثريدةً للعرس  
وضعتُ في لسانه لساني  
من يره رآني  
ومن رأى طقوسه الليلية  
في ساعة العناق والأغاني  
رأى انتفاضة الأسلاف في العينين  
والزمنَ المقبل في اليدين  
ياليتني دعوتُه ياليتَه دعائي  
قبل انفراطنا خليةً خليةً  
لا لحمٌ من جسدي ولا دمي مشتعلٌ بالبذرة الخفية.

\* \* \*

أدور في أبوابك الموصدة المفتوحة  
يا طيبة المقدسة  
أدخل في أعتابك الطاهرة المدنسة  
(فلتعطني يا قمر الأمومة)

بصيرة الهدم ومهرة الدماء

كي أمنح الجوعى)

أسمع في الصمت وفي الصخب

أصواتك المذبوحة

أصرخ: يا رفيقي العنقاء

فترجع الأصداء

مضفورة تحت رياح الليل منفى ضيقاً ووطناً

أدخله مطارداً.

(فلتعطني يا قمر الأمومة

بصيرة الهدم ومهرة الدماء

كي أمنح الجوعى)

\* \* \*

يا مهرة الدماء

انطلقني من قفص الضلوع

واغتسلي في عطش الجموع

يا مهرة من عطش الجموع..

## ٦- مهرة الألوان المتداخلة:

صوت:

كانت مهرتُنا الحمراءُ  
تغسلها أعطيةُ الدمع الليلية.  
كانت مهرتنا الخضراء  
أعشاباً برية  
أمطرها غيمُ السنوات المشوية  
فانشقَّ اللونُ الأخضرُ لونين.

صدى:

مهرتنا الحمراء  
حلمٌ يرقص في أقبية الدم

مهرتنا الخضراء

رسم مصفّر في كتب الصحراء

زبدٌ يتكسر فوق مياه زرقاء.

صوت وصدى :

مهرتنا الحمراء الخضراء

صرخة نارٍ شعرية

ما بين الماء المالح والصحراء

مهرتنا الخضراء الحمراء

مهرتنا الحمراء الخضراء..

١٩٧٠

## عن الحسن بن الهيثم

١- عذاب الأحجار:

كل صخرة

دَوَّرَتْ قَشْرَتَهَا نَارُ الكهوف

عجنت طينتها الشمسُ ولقَّتْها خيوطُ المطرة

دحرجتها عجلاتُ الزمن المنكسرة

فهي أَرْحَاءٌ وَأَرْحَامٌ رَغِيف

وهي وجه ناعمٌ في مدخل البيت الأليف

وهي للأرض إناءٌ أثريٌّ ولقلبي مَجْمَرَة

وهي لي موطنٌ ميلادي وسقفُ المقبرة

وأنا.. تنظر عيني المبصرة

صمّتها يقطر بالدمع وبالرمل خلال الطرقات المقفرة  
أسمع الصرخة في قشرتها تحت الزحام  
علها تصبح نسغاً في عروق الشجرة  
أسمع الشارع يكي في انتظار الطيبين السحرة  
وأنا أهرب من صوت لصوت من بكاء لبكاء  
ودّ قلبي لو تحوّلتُ لماء  
وعروقي اشتعلتْ.. في كل قطرة  
شهوة المعجزة المنتظرة  
وانخطافٌ بانفلاق الضوء لونا بعد لون..

## ٢- الصوت المحاصر:

حينما قابلني النهرُ سقاني  
بانفتحات ذراعية اغترابًا وأمومة  
وكساني إذ رأني عاريًا - حتى من اللحم - وأعطاني  
عطايا الزهرات الدموية  
وحباني بالهبات المحرقة  
قال لي:  
أركض.. لا عين تراني  
تتلوى صرختي تحت خطاي المغرقة  
آه.. من يُسمِعني صوتي،  
ومن يسكب في حلقي دموعي!!

دمعتي تُفلت من عيني جزيرة

أو زروعاً وجسوراً وقناطر.

قال لي النهر:

أنا أفتح صدري للمدينة

وأناديها إلى ليلة رقص وتخاصر

وأغنيها.. ولكن المدينة

لم تعد تسمع صوتي أو تراني..

قلت للنهر:

اتخذني لك فرشاً ووسادة

واتخذني - حينما يتحرك الشمس - ضمادة

ثم علمني طقوس السر، علمني تراويل العبادة

قلت للنهر، ولكن المدينة

حاصرت صوتي حواراً وصدى..



أحلم الليلة أني جسدٌ يطفو على النهر غريقا  
أحلم الليلة أني أتججّرُ  
أنني أدخل في القاع وأمتدُّ طريقا  
أوقِفُ النهرَ إلى سبع سنين  
عليّ أسمع في قلب المدينة  
صرخات الميتين  
علّها تصهل في أغنية الشعب الحزينة  
فرسُ القحط إلى سبع سنين  
عليّ أنظر في رأس المدينة  
شبح النهر ظللاً ودموعاً في العيون  
علّنا نعرف ميراثك يا نهرُ إلى سبع سنين..

٤- مناجيات إلى النهر:

-١-

أيها النهر انتظريني

واتخذُ جمجمتي عشاء، وخذ من جسدي الحيّ دفاتر

خذ يدي واكتبُ بها في الرمل شكواك القديمة

خذ لساني بومةً تنعب في ليل الهزيمة

خذ دمي حبراً وأعراقِي دواة وانتشليني

من سهوب اليأس واطرحني علي رجلِك رغبة..

"كلُّ إحساسٍ أليم"

وانفتاحٌ جارحٌ في عصب القلب أمام الغزوات

قطرةٌ واحدةٌ منك دخولٌ في الجحيم

طعمك الذائبُ نارٌ في لساني

صوتك الضائع رمحٌ حجريٌّ في كياني

وارتعاشاتك تفجيرٌ رهيبٌ في الخلايا

وانعكاساتك في العين شمسٌ دموية

والردي يرقص في طميك.. يا نهمري الكظيم

وجهك المكتئب الضاحكُ يجري في الخلاء  
لاعباً لعبته الكبرى: ظهورٌ واختفاء  
لاعناً صمتَ الخيانة  
باكياً ما في عباءات الكهانة  
من رضى الطينة أو من صلف المقتِ ورعب الخيلاء  
رافضاً ما يدعيه الشعراء  
باعتصار الدمعة المستكرهه  
بعد ما جفَّ الدمُّ الضائعُ في ليل الجريمة..

أيها النهر.. تعرّفتُ عليك  
وتحسّستُك.. أحزأئك في الرأس صفائر  
وانتظارأئك شوْكُ طالع في قدميك  
وتعرّفت على وجهي الذي يغرق منحوتًا ومهدومَ  
المهيولي في يديك  
وتعرّفت علي أغنية الشهوة والخلق البدائيَّ  
وأحلام السنين المقبلة  
غمغمات لم تزل صامتة في شفتيك..

أيها النهر.. تكلم عن طقوس الفيضان  
بُحْ بأسرارك لي حتي أري قبل الأوان  
وجهك الغاضبَ ينشقُّ عموديا على  
أرض الجراحات القديمة  
لأري جسمك منصوبًا وعريانا كرمح  
مرحًا كالنار إذ تأكل أخشاب السفينة  
ورقيقًا لينا كالسيف، مكتوم الخطى  
مثل الفجاءات الدفينة  
وتكلم عن طقوس الطفو إذ تخلع جذر الكائنات  
لأرى قبل الأوان  
ماء الواقف يمشي ثم يمشي..

هـ - تصادُمُ أقدار:

الحاكم بأمر الله:

ها أنا كل مساء

أتمشّي في سرير القمر الأسود،

أجتازُ المدينة

كل باب فيه صوتٌ ضارع من "برجوان"

يتشكّي موته النذل الجبان

وأنا أضحك في ليل المقطم

والصدى يرتد خفاشاً على وجهي الحزين.

حينما أرجع للقصر على ظهر الأتان

أجد الأرض دماءً تتوجع

أجد الصمت مليئاً بالعيون

فأنادي صوتك الطيب يا داعي الدعاة  
كي أري موطئ أقدامي إلى النوم..  
وفي النوم أراه  
قمرًا يحمل طفلًا ثم يرميه بفسقية ماء ودماء.

### داعي الدعاة:

سيدي.. حيث تمشّت قدماك  
صارت الأرض سماءً، والنجوم  
وقعتْ بعض حصى، والفلكُ الدائرُ حُبّة  
أنت في طينة هذا العالم الفاسد حُبّة  
حينما روّعك الشر على الأرض أتيت  
لابسًا خرقةَ إنسان حزين  
آخذًا حاشية السبع الطِّباق  
جاعلاً منها سراجًا أو عباءة  
سيدي.. تحمل في صدرك آلاف المصابيح المضاءة  
فانتظرُ حتى ترى كل الرجال



عَفَرُوا الْأَوْجَهَ فِي مَوْطئِ رَجْلِكَ، أَقَامُوا

لَكَ مِيزَانَ الْقُلُوبِ

اَنْتَظِرْ حَتَّى تَرَى الْعَالَمَ مِنْ خَشِيَّتِهِ مِنْكَ يَذُوبُ.

الْحَاكِمُ :

هَذِهِ الْأَرْضُ اللَّعِينَةُ

بَعْدَ أَنْ عَلَّقْتُ فِي أَبْوَابِهَا الْقِفْلَ وَأَحْكَمْتُ الرِّتَاجَ

وَأَنْتَظَرْتُ الزَّمْنَ الصَّارِخَ أَنْ يَصْبِحَ صَمْتًا وَسَكِينَةً

عَلَيَّ أَسْمَعُ صَوْتِي الْمَتَفَرِّدَ

عَلَيَّ أَنْسَى وَجْهَ الْبَشَرِ الْفَانِينَ حَوْلِي

وَأُرَى وَجْهِي الْحَزِينَ

فِي مَرَايَا الرُّطْبِ وَالْيَابِسِ وَجْهًا وَاحِدًا لَا يَتَغَيَّرُ

غَيْرَ أَنَّ الْأَرْضَ حَبَلِي بِالشَّقِيقِ

كُلُّ شَقٍّ قَبْضَةٌ غَاضِبَةٌ أَوْ حَنْجَرَةٌ

وَأُرَى.. حَتَّى جَذُورَ الشَّجَرَةِ

أَوْجْهًا تَضْحَكُ مِنِّي.

الداعي:

سيدي.. أنت إله مغترب  
بين شعب كل من فيه قميء ونبات متطفل  
وأنا أنفخ من وحيك فيهم  
آية من بعد آية  
فأراهم يسجدون  
بين أسنانهم الخوف لجأ حجري ومقاود  
ثم يمضون فرادى، يلتقون  
فإذا هم يضحكون  
ويحيلون الدم النازف والموتى حكاية  
والمآسي نكتة ضاحكة والرعب خيلاً من  
خيول الثرثرة  
وأنا أنظر زيف الشعراء  
كلما ضجّوا تدلّوا في طريق المجزرة  
فانتظر حتى تراهم يسكتون

وتكلمُ كلمةً مقتدرة  
فإذا هم حول أبوابك يستعطونك اللقمة،  
يننون من الشعر توابيتاً ومن  
زيف القوافي مقبرة  
وانتظر حتى تري الشعب المخادع  
كلما أغرق في الضحك تدلى رأسه الفارغُ بين الكتفين  
وترى الأرض اللعينة  
فرغتُ من ساكنيها.  
"يسمعان النهر يبكي من بعيد"

الحاكم:

ما انتظاري وأنا أسمع هذا النهرَ يبكي ويصيح  
صوتهُ الغاضبُ مسمومٌ ومسنونٌ فصيح  
بعد أن أوقفته بين الصحارى  
فاقد الرأس ومقطوع اللسان

فإذا النهر الجبان

يحفر الطينة - من تحتٍ لتحتٍ - حنجرة

يجعل الأشجار صوتاً طالعاً

والسواقي من صدى الصوت تنوح

والرياح الخرس للصوت المغني قنطرة!!

ما انتظاري وأنا أسمع في ليل الصحارى

رملها الأسود يهتز مخاضاً لأغانيه الكثيرة

كل شيء صامت صار كتيبة

ترفع البرق في حفل انتحاري!!

"ينزلان ويسيران حتى النهر، يريان شبحا

جالسا في الظلام، يقتربان منه"

الداعي :

أنت.. قَبْلُ هذه الأرض خضوعا

عَفْرَ الجبهة ذلاً وخشوعا

وانطق الآن، وقل من أنت، من فَتَحَ  
أبواب المدينة  
في دجي الليل وفي جيبي مفتاح الظلام!!

الحسن بن الهيثم :

سيدي.. عفوا .. فقد جئت لكي أسمع هذا  
النهر في الليل يغني.

الحاكم:

هو يبكي

الحسن:

هذه الطينة موال محمد  
فهو يبكي ليغني  
وأنا أعرف ما كان وما سوف يكون

الحاكم:

أيها الضيف.. انتصب.. قل لي.. أتدري لغة

النهر؟!

الحسن:

أجل.. أعرف ما ينطقه الماء، وما تكتمه الأرض

الحزينة

والأغاني المطفأة

والرياح المرجأة

وأصمُّ الأذنَ عما هو كائن

وأرى في كل شيء قائمٌ غربةٌ ما سوف يكون..

## ٦- خيانة النهر:

أيها النهر الذي كنتُ أراه  
حينما أنعس أو أصحوا وفي لحظة ضحكى وبكائي  
أيها النهر الصديق  
كنت أطويك عميقاً ودفيناً في دمي،  
كنت أناديك إذا كنتُ سجيناً  
فأرى بوابة العالم تُفتح  
وأناجيك إذا كنت حزيناً  
فأرى الطينة تفرح  
كنتَ - ما بيني وبين العالم الرحب - جسوراً وقناطر  
ورغيفاً يجمع الأرض على ليلة رقص وتخاصر  
أيها النهر الأب الأمُّ الصديق

جسدي الآن غريق  
ودمي ليلة رعبٍ وحريق  
وأرى خنجرك المرففَ يحترُّ لساني..

\* \* \*

كان قلبي جمرةً في طميك الحيّ،  
وكانت أغنياي  
شجرا يطلع في الليل وعنقوداً على باب اليتامي الجائعين  
رأسك المقطوع قد خبأته بين الضلوع  
فغسلتُ الشفتين  
في دمي، أفرغتُ روحي في شقوق الحنجرة  
ووضعت الرأس بين الكتفين  
وانتظرتُ العام بعد العام أن تبدأ نسجَ الأغنيات  
الطائرة ..

\* \* \*

بعدما أدركني وجه الوجود المتحول  
قلتُ إن الميتَ الباردَ يأتي في وقود الصاعقة



قلت إن الأخرس الصامت يأتي في الرياح الزاعقة

قلت "إن الحق واحد"

وجهه يلمع في الخُلفِ ويأتي في التقابل

قلت إن الأيسَ مدفونٌ بقلب اللّيس،

والنهرَ سيأتي في الظمأ..

\* \* \*

قلتُ إن الأرض جبلي وعقيم

أيها النهر الكظيم

فانتظرتُ الطحلب الأخضرَ من قلب الرميم

وانتظرتُ الصوت أن يطلع في صدرك

مسكوبًا من الريح ومن قلب الجوامد

ومن النيران

لكنك لم تنطق وأبقيتَ دمي في ظلمةِ السجن

رهينة.

\* \* \*

أيها النهر الخثون

أنا بين الرمح والحائط منصوبٌ مقيدٌ

جائعٌ منك إلى كسرةِ طميٍّ وأمومة

ظاميٌّ منك إليك

ربما أقوى على الحلم الرهيب المتجدد

بانفتاح اليأس والأرض القديمة

أو فراري من ظلام السجن مستورا على

وجهي قناعٌ من جنون..

٧- يوميات رجل يدّعي الجنون:

-١-

هذه الأرض التي كانت فراري وانتظاري  
بين ثدييها مشّت شمسُ النهار  
خبزتُ من صهدِها قمحًا وأزهار انتحار  
لبستُ برقَها الأسودَ  
(من خوفٍ وعارٍ وانكسار)  
دخلتُ وانكمشّت في عقر داري  
ثم صارت جثة ترقد ما بين جدارٍ وجدارٍ..

كان في الحائط شقٌ مستطيل  
أخذ الضوءُ الهزيل  
ظلَّ رأسي مستضاءً وظليل  
دخل الشقُّ به.. حتى سمعتُ الطقْطقة  
في عظام الرأس إذ يُحشر ظلاً في الخطوط الضيقة

كانت الليلةُ مسماراً بلحمي والثواني مطرقة  
وأنا أصرخ: من يُطلق رأسي من جدار المشنقة!!

كلما شاغلتُ نفسي لأنام

(بانقسامي رجلاً طفلاً وأماً ویتامي

وبعدّ الخشب الأسود في السقف

وباستسقاء هذا المنور المعتم شمساً وغماما)

طلعتُ في القلب أزهارُ الفطام

بتويجات التشهيِّ وبأشواك السنين الضائعة.

كلما شاغلتُ نفسي لأنام

خفتُ أن يسمعي الحارسُ أحلم

برغيف الصاعقة.

هذه الشمس عيون بربرية  
كلما سامتها ثقبٌ صغير  
أسقطت فوق اليدين  
ظل رأسي.

خفت أن يصبح ضوء الشمس سيفاً للأمير  
فأنا أحمل في كفي ظل الجمجمة.

كلما دقت يدُ الظلمة بابي  
خفت أن يطلع من جوف كتابي  
وجه أحبابي وأصواتُ العناقيد التي  
تصرخ في قلب الخوابي.

كلما دقت يدُ الظلمة بابي  
خفت أن تطلع من جوف التراب  
حمحماتٌ من خيول الجوع أو رعد الظمأ.

كلما دقت يد الحارس بابي  
خفت أن يطلقني تحت النهار  
فأرى فوق الصواري  
جسد النهر القليل  
حاجزاً بيني وبين الحلم والشمس التي  
أخلقها مني شعاعاً فشعاعاً.

أسمع النهر يغني باكيا:

(أنظر في الطمي اللعين

جثّة تبحث عن طعنة سيفٍ غاضبٍ أو مقبرة

وأرى تحت الغيوم الطائفة

كتبَ البدءِ وعلمَ الآخرة)



-: أيها الحارسُ

(يا ابن اللئيمة

كدت أن أخلع عن وجهي القناع)

قل لمولاي لكي يطلقني قبل الشتاء

ربما أطفأت الريح جحيماً في الدماء

قل له أن يفتح السقف وأن يمنحني

سنبلةً تطلع من فم القمر

قل له: يمتلئ الرأس حنيناً وكآبة

فاقطع الرأس وأدرجْه بتابوت السحابة

(علني أصرخ في الرعد الدفين المتكلم

وأرى حنجرتي تسقط في الأرض حريقاً

أو تواشيح دماء)

١٩٦٨/١١/١٢

## كتاب السجن والمواريث

١ - عذابات سرية:

أكلتُ ما يخبزه الأسفلت  
في جوفه من حنطة التعذيب  
وافترشتُ جوارحي حشيةً تملؤها بالمقت  
الأوجهُ المقلوبة  
والأعين المثقوبة  
وحينما انكفأتُ تحت الصمت  
سمعت ما تقوله البيارق المرفوعة  
والأرؤس المقطوعة..

## ٢- المفاجأة:

بيني وبين الجدار

أبحرهُ الزلزلة

وفي فروع النهار

تفاحة عريانة

وفي طريق الفرار

رصاصَةٌ أو خيانة..

### ٣- مقبرة الارواح:

العالم مترٌ في مترين  
والشمسُ اسودَّت.. حطَّتْ حجراً في العينين  
وأنا أصرخ في جسدي - التابوت  
وأرى وجهي المربد  
ملهوفاً ينشع في حجر أسود  
وأرى صوتي المرتد  
كفناً حول القلب وقيداً في الرسغين..

٤- تاج الدمع:

قصيدي مملكتي

والرقعة الضيقة المسورة

بفوهات الأعين - البنادق

مملكتي

لكنني - واليأس صولجان -

أحمل تاج الدمع فوق الرأس

وألبس العباءة المطرزة

بقصب الآلام والنمنمة الدامية المدورة

والطرق التي تقاطعت واشتبهت

عرشي الذي لا يستقر في المكان..

٥- حصار:

قد يصبح الإنسان - تحت جلده - جرادةً أو

عنكبوتًا أسودًا أو دودة

من حفرة الحفرة يقيم عرشه الفارغ في المملكة المفقودة

لكنه يصبح

تحت النهار المسرع الخطي والريح

كي يرفع اليدين

وكي يشق عنه قشرة الجلد ويغسل العينين

بالقمر الجريح...

١- تخريض:

- هل تسمعونني - ؟!

أصرخ تحت ماء الغُسل خائفاً في كفني:

لا تربطوا يديَّ لا تقيّدوا أقدامي

فربما أهرب في الظلام

ولا تقيموا مأثمي

فإنني المطلوب بالثأر لكل صرخة وقطرة من الدم..

## ٧- انتظار:

أتخشب في مقهي العالم  
منتظراً من يطعمني أو يسقيني  
تغرسني اللحظة في خشب الكرسي  
يساقط فوقي صوتي المتجمد وذبابُ الأعين..

أضحك في مقهي العالم  
منتظراً من يهزمي أو أهزمه في معركة النرد  
منتظراً ان ترحمني الأرقام  
من ذكري التركة..

حين أردتُ السير



وقفتُ وتصلَّبتُ الأقدام

والشارع كان يهرول من حولي جُدراً ورءوساً

عائمةً في نهر الأجساد

والشمس تدلت، ألقتُ شصَّ الصهد

واختطفَتْها رأساً ألقَتْها في

مقلات الظل الممدود..

## ٨- مملكة الصرخة:

أغني بليل الهزيمة  
وأسمع رعي وقلي الممزق من شهوة للفرار  
وأنظر ضوء النهار  
يمد أصابعه الباردة  
ويهدم وجهي ومملكة الليل في ضربة واحدة  
ييعثر ما جمعته يدي من حصاد الرؤى  
(صيحة الديك عرش ومملكة وانتظار  
وصوت يبشرنا بالقيامة  
وجشتنا في التوايت والأرض نعش  
ودفتر أعمالنا تتقلب فيه الدما والجريمة

وعلاني المستباحة..

القدسية وأرضي ما ترائين تأسى وأرضي القدسية

ويكلم في شفهي صر جتي..

وأصواتنا رعيته الأ حضار)

أسمع صوت الماشين على الطرقات

وأنا أعراقُ مرخية

أنفاسٌ واقفةٌ مطوية

جمجمةٌ فارغةٌ ولسان مبتور

ودماء تقطر من خُفِّ الديجور.

أتذكر ما قلناه معاً

أتذكر طعم الكذب الأبيض والأحلام السوداء

وإيقاع الموال المقهور

والعشَّ الفارغَ والرمحَ المكسور

أتذكر شبحي الهاربَ حين تكسَّرَ منه

الرأسُ على قرميد السور.

حين يجيء الموت

هل يأخذني أم يشطرنى نصفين

فأنا أسمع صوتي الضائع في الطرقات

و أرى الشمس المسوَّدة تهوي في أيدي الأيام المرتدة

وأمدّ يديَّ إلى أهلي الأموات

نقتسم الدمعة والطعنات

فمتي يرحمني كفنُ الصمت،

يتركني تحت الأرض ويقطع كفي الممدودة

فيعيشش في جمجمتي بُعدُ زمني واحد!!

١٠- هجرة إلى الداخل:

أيتها النحلة.. فلتَميلي  
ولتُسمِعيني مرةً.. وقولي  
حكايةَ الإصغاء للشمس وللهواء  
ولترفعي راسي علي يدك في الظلام  
كي أعرف النوم على أسرة الخضرة في الأعالي  
وأسمع الرياح في زواجها الليلي،  
وانسكابة العصاراة

في زمن التلاقح الممتد بين طينة الحلق ومطر البكارة  
ولترفعيني عاريا قبل انحدار الشمس عن مخدة الظهيرة  
حتى أرى ظلي ساقطاً ممرّغا في الرمل والوحول  
أو طائراً يحاول الدخول

- عبر جدار الصمت والشوارع المحرّمة -  
إلى مدائن الإنسان والخرافة.

أيّتها النخلة.. أطعميني وبدّدي وحشتي المخيفة  
بصوتك المرويّ بالشمس وبالنقاء  
وانتشلي من هذه المدائن - الصحراء  
جمجمتي التي تملؤها صلصلة الحراب والسنايك..

## ١١- وطن آخر:

يقالُ.. في كل بحر جزيرةٌ أو سفينة  
والشط عرقٌ مليءٌ  
بالأغنيات الحزينه  
ما بين عيني "تحت"  
وبين شمس "أثينه"  
قلبي غريقٌ تشهى  
شمسَ الرؤى والسكينه  
وارتدَّ طفلاً صغيراً  
يبكي السنين الضنيه  
يبكي فطامَ الأغاني  
يبكي الرموز الدفينه.



في القلب جوعٌ رهيبٌ  
والخبزُ رعبٌ وطينة.

يا شمس فلتطلعي لي  
يوما بهذي المدينة  
يا بحر هَيِّئْ فراري  
في الموت أو في السفينة..

كنتُ إذا رأيتُ نُدْبَةً على جسد

أو أثرًا ملتئمًا الجرح

تفجرتُ مشاركاتُ الرعشة الأليمة

في جسدي

لكنني - في زمن السخرة والحرائق -

قَبَلْتُ جيفةَ الأرض.. ومات في حنجرتي

الرفضُ والسؤال

وانفصمتُ عرى التداخل الحميم بين الفعل والإرادة..

١٣ - سقوطُ جسر الصرخة:

كان رغيْفُ المسكونة  
منتفخًا يطفو فوق الماء.

طلعتْ شمسٌ محزونة  
هبطتْ صاعقةٌ سوداء  
وتقوَّسَ تحتَ عمائرِها المنصوبة ظَهْرُ الحوت  
فتكسَّرَ وجه الدائرة المنتظمة  
وتفتَّتَ وجه الأرض

حين تداخلت الأصوات  
وتهاوى جسرُ الصرخة بين المتخم والجوعان

نسيْتُ حنْجَرَهُ الإنسانِ  
سنبلةَ الكلمةِ.

سقط الغالبُ والمغلوبُ  
وتعفَّنَ فوق الماءِ رغيْفُ المسكونةِ

أتيتُ تحت الزمن المنافق  
والسيفُ في منطقتي والشمسُ في  
نعش من البيارق  
غسلتُ رجلي في دم الصبايا  
وجئت من معركتي الخاسرة الخفية  
أحلم بالقناع والتقية  
أنام في أروقة التكايا  
تطعمني جريمي، يقيمني الرب على الرعية  
ممتلئاً بما ادَّعَيْته من طيب النوايا  
وخائفاً أن تولد الشمس وتكشف النعشَ  
الذي تحمله خطايا..

١٥ - سقوط:

حين تفكّكتْ أصابعي ونسيتُ  
ملا مسات الطين والحجارة  
وضربةَ الإزميل، والحفرَ الذي يترك في المغارة  
ملاحمي وصرختي الفوارة  
بالشعر وانتظار الرعد المواراة  
سقطت في المملكة المنهارة..

١٦ - موسيقى الداخل:

طيبة أنت كخبز الأم وماء الساقية

الخشبية والعنقود

أتحسّس وجهك في صوتي الممدود

وأشم جدائلك المنسوجة عشا للنهدين

فأمرغ وجهي.. أصرخ كي ينقذني جرسُ القافية الصعبة

حاصرني الرعب الصاعد من ليل الأركان

طيبة أنت.. ولكن الإنسان

لا يحلو إلا ساعة غيبته في الأرض.

جسدك اليأس الطالع في الأشجار

تفاحة نار

جسدك الحب الخائبُ والأبناءُ الموتي والأفهار

جزرا غارقةً، وجهها يصرخ في عينيه العار

فجريتُ ورائك.. أعرف أني لن أتعرف في

عينيك على منزلنا العامر بالأسرار

غنيتك.. أعرف أن الصمت

فرس تحمل هودجك المنهار

ورأيتك.. أعرف أن الشمس

كانت تثقب عيني في الزلزلة

والصوتُ الصاعد من أحذية الحراس

كان غناء العرس

وسمعتك.. أعرف أن الموت الطائر فوق الرأس

كان صديقاً يحجب عني القمر الميتَ في شفتيك..



١٧- تنكري يومي:

حين تركتُ الرأس في البيت،

وسرت في الشوارع

أنكرني أبي

(علمني الكتابة

بالفأس والسحابة

علمني القراءة

في كتب المحراث والطوالع

والأحرف الكوفية التي ترقص في

الأسفار والجوامع..)

أنكرني وردني مغترباً في الوطن المرقّع المخادع..

\* \* \*

حين دخلت البيت.. كان الرأس في السرير  
مكوما وجاحظ العينين.

\* \* \*

يا طفلي .. يا طفلةً طيبة وشرسة  
فلتفتحي نافذة علي الرياح المشمسة  
ولتضعي رأسي فوق جسدي..

١٨- حُلْمٌ فِي زَنْزَانَةِ الْعَزِيزِ:

حِينَ تَخَلَّلْتُ مَفَاصِلِي وَانْسَكَبْتُ عَرُوقُهَا الْمَهْتَرَّةُ  
وَلَفَّهَا الضَّمَادُ بِالنَّمْلِ وَبِالثَّلُوجِ  
تَكَسَّرَتْ فِي رَيْثِي زَجَاجَةُ الْمَرْجِ  
وَانْسَكَبْتُ خَضِرُثُهَا الْمَمْلُحَةُ  
فَأَنْبَتَتْ حَنْجَرَتِي الْمَقْهُورَةُ  
مَرِثِيَةً لِلدَّمَنِ الْمَهْجُورَةِ  
وَالزَّمَنِ الْمَصْلُوبِ، أَنْبَتَتْ أَغْنِيَةً مَخْبُولَةً  
ضَاحِكَةً، تَطْلُعُ فِي الْجُدْرَانِ  
تَشَقُّقًا أَوْ وَتْدًا أَوْ سَقْطَةً أَوْ قَلَمًا يَكْتُبُ بِالدَّخَانِ  
أَسْمَاءَنَا الْمُنْطَفِئَةَ.

حين أدرت الرأس للحائط وارتمتُ بجاني

أصابني المقطوعة

رقدتُ خلف سور المملكة

أصرخ في الأحلام:

يا جثتي المرفوعة

مائدة للريح والجوارح

لا تنزلي.. فالأرض ماتزال

مملكة ممنوعة..

أصرخ في المدينة المستسلمة

لعلها تبصق ساكنيها

أدور في الساحات والشوارع

أنفخ في الحفاظ المرة والضغائن

لعلها تدفع من بينها

فتى يرحمني من جسدي الجوال

بين السؤال والسؤال.

أضحك في مآتم المدينة

مستعداً تاريخها الوالغ في الدماء

مكذباً مناقب الموتى ورافضاً مدامع الأحياء.

أصرخُ في المدينةِ الملعونةِ  
لعلَّها تُخرج رأسَهَا منِ معطفِ التَّرقبِ المهزومِ  
لعلَّها تقومُ  
وتشرئبُ كي تأْكُلني  
حتَّى يجيئها سيفٌ مغامرٌ بضربةٍ في الرقبةِ  
يُطيحُ بالرَّأسِ  
أراك يا مدينتي أضحيةً تنتظرُ السَّكِينَ ..

١٩٦٨

## الحصان والرأس :

### من الخرافة الشعبية

-١-

وقفتُ على شاطئِ البحرِ أنتظرُ السفنَ العائدةَ  
فأدهشني أن رملَ الشاطئِ كان يسافر  
وأن كتابَ الغرق  
يسطره في سوافي الرمال غناءً محاصر.

رأيتُ الخيولَ الغريبةَ  
تمدُّ من البحرِ أعناقَها الطافرة  
وتصعد من زرقة الماء والملح ..  
ينقشُ توقيعُها السنبكيُّ صكوكَ الرؤى البائدة

وتترك في أذن الأرض قُرْطَ الصهيل  
وفي قمحها منجل الحمحة  
فتنزف شمس الأصيل  
تَخْثُرُهَا الدَّمُوءُ عَلَى الطَّرِيقِ الْمُعْتَمَةِ  
ويقتل الطيرُ في الريح  
لما أدرتُ العيون  
إلى النهر .. كانت بأعماقه المظلمة  
تفور البطون التي أُتْنَتَتْ  
والرءوس التي أكلتها الحشائش  
والأذرع الميتة ..



على الأرض كانت بقايا خطيَّ وبقايا أغانٍ  
من الدمع والضحكات البريئة  
تمرُّ عليها الرياحُ وتكنسها ..

(كانت الشمس موقدةً في الفضاء  
تصُبُّ علي الميَّتين أكاليلَ شوكٍ مضيئة  
وتهبُّ حتى تلامسَ لحم الوجوه  
وتقطفُ من زهرات الصراخ الحبيئة  
لقاحَ الردى والولادة  
وأزمةَ الشعر ..  
كانت طيورُ الظَّهيرة  
شظايا هواءٍ تفحَّم ..  
كانت تدوُّ ثم تحطُّ بأرض الوليمة

وتصعد.. بين مناسرها من رميم الصدى

وحشرجة الشمس - وهي تمر خلال

العيون تشقّ غشاوتها ثم تسكب

دائرة الرمل في طعنة واحدة -

وتحمل بين مناسرها من خلايا الجسد

صراخا تحجر)

وكانت ضيور الظمأ

تحيء و تغدو هواء يهز الستائر، خشخشة

في فروع الشجر

وحفنة ماءٍ على أصص الشرفات المضيئة..

رأيت الظهيرة

خيولاً من الشهوة الغامضة

تحمحم تحت قشور الكلام وتركض عبر

مسافاته الصامته

فتهتز - من ضربات التشهي - نجايا المواريث

في الغابة الميتة

تدق الطبول البعيدة

ويغدو التحامُ الظلال على الأرض رؤيا قتال مؤجل

وبين اصطفاك الأكف الصديقة

يصلصل ما تركته القبائلُ من صرخات الحصار..

وفي الليل.. كانت خيولُ التشهي تحمحم في ظلمات

المخادع، ترفع أعناقها في رؤى الحدقِ الباهتة

وتكتم أصواتها البربرية في ضربات الملاعق

أو في طقوس الرضاعة

تصير هواءً وخبزاً، تسدُّ الفضاء،

(وتلبس قشر الإشاعة)

(رمتُ نخلَةً تَمُرْهَا فِي الرِّيحِ  
فَمَرَّ إِلَيْنَا - خِلَالِ السِّيَاحِ -

شِظَايَا زَجَاجِ

وَلَحْمٍ تَفْتَتُ فِي السَّعْفِ الْمَشْتَعْلِ،  
رِصَاصًا مِنْ الْبَقْعِ الدَّمْوِيِّ..

كُنَّا أَمَامَ الْمَرَايَا

نَسُدُّ ثُقُوبَ الرَّدَى فِي الْقِنَاعِ..)

وَكَانَتْ خِيُولُ الظَّلَامِ

تَحْمَحِمُ بَيْنَ الزَّوَايَا

وَتَصْهَلُ فِي كُلِّ قَفْلٍ مَعْلَقِ

وَفِي كُلِّ عُرْوَةٍ رَعْبٍ تَلْفُ الرِّتَاجِ

وَتَصْهَلُ.. تَصْهَلُ.. تَصْبِحُ أَصْوَاتُهَا نَغْمَاتِ التَّوَافِقِ

وَأَيْقَاعِ صَوْتِ الْقَرَارِ وَصَوْتِ الْجَوَابِ..

\* \* \*

نهر عن الجسد المتهالك قشر النهار ونرمي  
حصاد الخطى.. تتفجر فوق الجدار مواسمُ  
أحداقنا المحبطة

وتلتَم كل المساحات، تجري خطوط الدوائر  
تكتلُّ، يصبح في كل دار حصان..

(وفي الخرج كنزُ الممالك والسفن الغارقة  
ورأسُ قتيل - نجا قاتلوه وخلّوه بين القفار  
ينزّ دماً ونجيعاً-

: لمن يفتديه بحفنة دمع وكسرة خبز  
وشربة ماء

ويخرج في الليل فوق الحصان بغير شكيمة  
ليطعمه برعما من غصون الحرائق،  
يسقيه شكوى الطلول القديمة

ويدفن في غرفة النوم رأس القتيل  
فسوف يصير الدم المتخثر زهريةً،  
والممالك والجزر الغارقة  
عطايا وخاتم عرش الجسد

وصلك الوسايا ومفتاح أرض المواريث  
والمدن الطالعة

وجوداً بقلب الغياب  
وطمناً بنبع الحصى والتراب..)

\* \* \*

هوت حُدْبَةُ الأفق وازْحَزَحَتْ كِسْفُ الزرقة الهاوية  
وطأطأت الأروُسُ الخاوية

(فقد تفتح الأرض قفلَ صناديقها المغلقة  
وتنشر تحت الخطأ - من نصوص الوساية -  
عطايا الدفائن

وقد تفصح الأرض عن قطرات الدم الباقية)  
ومن بين كل يدين تصافحتا كان صوت المفاتيح يسقط،  
والجزر الغارقة

تغرغر في القاع، تفتح ذاكرة الليل والخيال والأروُس  
الضائعة

وخيبةً يأس الفجيعة  
وحسَّ الرغبة المهادن..

على كل باب علامة كف ملطخةً بدماء طريئة  
يجيء الصباح فتمسحها الشمس،  
يأتي المساء،

فينسجها الخوف في الغرف الداخلية  
ويطبعها - وهو يسرع تحت الظلام - .

(رصيف المدينة

سلال وأغلفة حجرية

تَكْوُمُ فيها الرءوس وتنسج في

شعرها ودمائها العناكب

بيوتا قديمة

وتحت الحوائط، في الحافلات المليئة،

تحت حصير الجوامع،

في منبت الجذر من كل شيء.. تنزّ الرءوس



وينسج من شَعَرها الصمت والرعبُ

اشباح ليل الخرائب

ويعملُ جوَّ المكان ذبابُ الجريمة)

\* \* \*

يضيق حصار المسافة حول العيون.

(بعينيكِ يا طفلي زهرةُ الشمس، مملكتي،

وخطاي، وعرشي الجموح

بعينيكِ أرضي القديمة

تمرين - مازلت - بين الرضاع وبين الفطام

أجيئك منكسر الظهر.. أعطيك سر الجروح

وأعطيك سر العيون الثقيلة

وأعطيك سر الأزاميل وهي تشق فراغ السطوح

وتكتب أسماءنا واحدًا واحدًا

وتخط بقلب التعاريج طقس البراءة والإتهام

وترسم تحت شقوق التداخل

رماح القبائل.

وعيناك يا طفلي زهرة الشمس، مملكتي،

وخطاي، وعرش الجموح

خطاي وعرش الجموح..)

يضيق حصار المسافة حول العيون

ويشتبك الظل بالظل فوق الشقوق الحبالى ..

١٩٧٠/٩/٢٧

## رفع القمع عن فراشة الدمع

- ١ -

كان انتظارها الطالعُ في العينين  
فراشتين.

لو أنها ألقتْ على يديه صدرَها المبتلَّ بالمطر  
أو ضمَّدتْ أوسمة الموت بنهدِها العريان  
أو مسحتْ جراحه الخثراءَ والسيفَ الذي انكسر  
بشوبها الظمآن

لأنفتحت يداه مرتين

فمرةً يمنحها هدية الرجوع

ومرةً يمنحها الخاتمَ في إصبعه المقطوع.

حين يصير الموت طارقاً ليليا

يرمي من النافذة المفتوحة

الراتبَ الشهريا

تظل في قوائم الأحياء

أسماءُ من ماتوا.

سنبلةَ البكاء يا سنبلةَ البكاء

لا تطلعي.. فالموتُ في الربوع

أصبح شرطيا

حتى تصير الأروُسُ المذبوحة

موتاً غاييا..

كانت صناديق الهدايا الموجهة

تُفتح تحت أعين الحراس

(الصمتُ كان الشاهدَ الوحيد..)

تُخَرَجُ أَكْيَاسُ الْحَصَى وَالرَّمْلِ، تُفْتَحُ الْقُبُورُ، تُغْلَقُ الْقُبُورُ

(الصمت كان الشاهد الوحيد.)

كان رجال الشرطة المثلثون يمسحون

أوجه الموتى من الصحف

ويُغْلِقُونَ حَوْلَ الدَّمْعِ فِي الْبُيُوتِ

دَائِرَةَ السَّكُوتِ..

صوت:

رَأْسِي الْمَقْطُوعِ

مَحْشُوٌّ بِالْأَسْلَافِ الشَّائِكَةِ الصَّدِئَةِ

وَالْمَلْحَ عَلَى أَطْرَافِ الشِّفَةِ الْمَهْتَرَةِ

صَمْتُ مَنْفَجَرٍ مَسْمُوعٍ.

كَانَتْ أَصْوَاتُ الْأَرْضِ الْمَنْطَفِئَةِ

قِيْدًا وَنِدَاءً رَجُوعٍ

لكن العربات الفارحة اصطبغت منها العجلاتُ

السوداء

ببقايا الأشلاء.

صدى:

كانت حباتُ الطمي تحاور رَشْحَ الماء

عن حبة قمح مبتدئة

شقت قشرتها وانتظرتُ في ظلمات الأرض

أن تطلع ساعةً ينسج قمرُ الجوع

- من لحم الموتى - سنبلةً حية.

أصوات وأصداء مختلطة:

"الناس نيام

فإذا ماتوا انتبهوا"

"كانت أقفيةً مدبوغة

- بالصفع - وكان الرأسُ حذاءً للاقدام"

"لو أَفَلَّتْ صوتُ الموتى من بوابتنا الليلية

لعرفنا كيف نموت

معتدلي القيامة"

"يوم تقوم الساعةُ والملكوت

ستقوم الصحراء المشوية

جسداً مخبولاً من أجسادٍ، يتمطى،

ينفض عنه الأسلاك الشائكة الملوية

يفرك عينيه وينقر في الناقدور"

"فلنحملْ ما أبقتَه الريحُ من الأشلأ"

"وإذا قام الموتى.. من يدفعهم عنا!!

كلا..

فلندفنْهم في أقباء الذاكرة الخوانة".

## ٢- بكائية:

لو كنتُ أعرفه.. لو كان يعرفني  
لحملته خبزي وحملته كفني  
وعرفتُ أن ندائه المذبوح يكشفني  
نصفني يموت هناك  
نصفني هنا يبكي..

\* \* \*

"أبكي على عيني"  
محشوةً بالرمل والبارود  
أبكي علي ما أطلعتهُ الأرض في النخلة  
من ثمرها الموعود  
أبكي على الناطور والعنقود..

\* \* \*



فلتدمعي يا عين  
هذا جدار البين  
قد مسحته الريح  
فتأكلت أسماء من ماتوا.  
ولتدمعي يا عين  
ليست تردُّ الريح  
أسماءنا إلا بأن نبكي..

\* \* \*

لا تأكلوا أسماكنا النيلية  
فصوته المكتوم  
مكثفٌ في لحمها خليةً خليةً  
لا تأكلوا أسماكنا البحرية  
فلحمه المهضوم  
قد يرفع السكين، قد يقوم  
في هدأة المضاجع الليلية

من يعيد الميتين  
خافضي الرأس ومعصوبي الجبين  
كي يردوا شارة الموت الخرافي المهين  
في ظلال الراية المسوحة المنكسرة  
ويردوا بيعة القهر وميراث الخلافة  
ورقا محترقا يملأ عين الخائفين  
من يعيد الميتين!!  
حينما أوقفتهم في الصحراء  
في لباس الخوف والصمت.. تعرّوا  
ثم ماتوا قبل ساعات اللقاء  
أيها الشعب الذي يركض زحفا للوراء  
سُدت الأرحام من دونك..  
لا تملك أن ترجع ماءً في  
ظهور الشبق الأعظم.. فاغسل شفئك  
في مراسيم البكاء..

حفرنا الخنادق

بأجسادنا واختبأنا بصمت الخلايا

لبسنا حكايا العبور، لبسنا "بيان" الإذاعة

قناعاً، ونخضنا طقوس الإشاعة

لتغسلنا من ثواني الغضب

وتغسلنا من قشعريرة الرفض، تطفئ ما

يتوهج بين السؤال المرير وبين غياب الإجابة

وفي النوم.. حين تفكك صمت الخلايا

تحول دفء الحشايا جليداً وغابة

وليلاً من الصرخات البعيدة والطرق المبهمة..

حلم الرؤيا:

كان في الهودج محمولاً وكان الدمع

غُسْلا وحنوط

كانت الشمس بعينه فراشة

حيثما حطت.. سمعنا نغم البدء وإيقاع

السقوط..

مشهد الحلم:

كان يمشي في الظهيرة

كل باب أوقع القفل،

وطارت في الفئوس

شارةُ البرق، وفي حدِّ المناجل

كانت اللقمةُ تبكي وتقاتل..

١٩٧٠/٣/٧

## اشتاء الملكة

حينما أدخلني اليأسُ بلاطَ الأمراء

والقصورَ الملكية

كنت وحدي، برعمًا في ورق الفقر، أغني

في القرى والمدن الدامية القلب وفي أرصفة

الثلج على باب المواني

ظلمةُ البحر رفيقي، والبكاء

لقمتي قبل طلوع الشمس، وجهي، وسريري،

غربي، أرضُ بلادي

- حينما أدخلني اليأسُ بلاطَ الأمراء -

فتشيت سرير الملكة.

(كنت أمشي في الدهاليز وأبواب الجواري

جسدي يسترق السمع علي صوت الدماء

وهي تغلي في الحقول الدموية

وعلى صوت الثياب

حينما تنفرط العقدة عن أرض السهول المرمية

والزوايا والتواءات،

وموسيقى السفر

في أقاليم الحواس..)

خطوتي كانت حروفا في كتاب الإشتهاء

كلما نقلت أقدامي تدلّت كرمة الجوع وأمطارُ الظمأ

وهي خلفي: مهرة الرعب، أمامي: غابة مشتبكة..

(كانت الأرض كباقي الوشم ..

أمشي في ارتباكات السطوح

مقشعراً الكف من مسّ الزغب

آخذاً من كل شيء بذرة الكون وميقات الفساد

آخذاً من غليان الدم في ورد الجروح

كلمة السر إلى أرض الشقوق

وأخاديد العطاء..)

كل شيء كان - من عنف النزوع -

طائرًا نحوكِ في عمق الزمان الداخلي

عله يسقط ما بين يديكِ

زهرةً راحلةً في سحب اللون وأطياف التداخل

خارجًا حيا من الميت أو منسكبًا بين توابيت الهولي

راحلاً فوق خيول الحلم.

(أمتدّ بأصوات الثياب

حينما تنفرط العقدةُ عن أرض السهول الدموية

أبدأ الرحلة ما بين أقاليم الحواس

كلُّ صوتٍ نخلةٌ مثقلةٌ، كلُّ شهيقٍ وزفير

بنجمةٍ تفتح عينيَّ على كنز المساحات

وأفياء الرؤى بين صعود وسقوط

كلُّ تاريخٍ الأزاميل على طرف الأصابع

راعشٌ يبدأ خلق الكائنات الوثنية.

كل مهوى من مهاويك مدينة  
نسجت راياتها وارتحلت تحت شمس الإنتظار  
أقبلت منها الكتابات وأسرار القرايين الدفينة  
وتوارىخ النبذ الحي في صمت الجرار  
وأنا ألبس من ماء ونار وتراب وهواء  
وجهي الأول، أغدو نطفة منعقدة)  
وأنا أبكي وأبكي  
نازفاً بين الدهاليز وأبواب الجواري  
خطوتي تعويذة في صلوات الإشتهاء  
سفر تكويني سرير الملكة..

١٩٧٠/١٠/٢٠



## دائرةُ الدم

كنت أمشي، وأنا أحمل جرحَ الساعدين  
وردين.

كانت النار التي أحملها - وشمًا وشمًا بمساحات الجسد -

معجمَ الأرض وتقويمَ الفصولِ

وأنا أركض في دائرة الأفق وإيقاعِ النزيف

وردةُ الجرح سقاءً ورغيف

جسدي غمدُ السيوف

وأنا أمشي وأمشي

قدمي تصبح - في دائرة العالم - ملقى الارتكاز

جسدي أرضي وشمسي وسمائي

لقمتي جوعي، وأحلامي غنائي

وأنا أقطع أحبال الحواس

داخلا نفسي موصولاً بمرمى طعنة العالم في قلبي الوحيد.

(كنتُ في ليلة عرسي

ودمي ساقية تنزف مني

تصبغ الأيدي التي امتدت

وتنصبُّ باكوأب الشراب

وعلى مدِّ البصر

كانت الأرض مساحاتٍ من العتمة والضوء،

تناديني إلى عرس خفيٍّ وطقوس

وتغاويني بأن أدخل في رقصتها

بين أسفار الأساطير ورؤيا خفة الموت

بموسيقى الرشاقة)

كانت الأرض العتيقة

آهة ممدودة في رحلة الصوت العظيم

(اطلعي من جسدي

وافتحني نافذة الشمس علي جذر الغمام  
وعناقيد المطر.

اطلعي من جسدي  
فأنا أحمل أثقالَ المساحات وتاريخَ الشجر  
واصطفاقَ المعدن المصهور والصمتَ  
الجنينيَّ بأرحام الحجر  
وولادات السديم  
فاطلعي من جسدي..)

قمرُ الثلج يذوب  
في احمرار السحب المنعقدة  
والسما تلتفّ حول النطفة المتّقدة  
وأنا أدخل في بطن الجبل  
يحتويني أحويه، يختفي فيّ وأمشي لابساً قشرته،  
أعبر جسرا بعد جسر،  
أتخطّي جسدي، أعبر في مملكة الريح المسافر

باحثاً عن لقي واسمي على شاهدة القبر المهاجر

بين أيام السقوط

ومتون البحر والرمل وآثار الخوافر

(الدا موصولةٌ تحت الجذور

وأرى الغابة تعلو

ثم تمتدّ وتصطفُ الجذوع

كلُّ جذعٍ قبضةٌ منتزعة

من توايت النذور

كل فرع برعمٌ يمشي ويطوى تحته من

كبد الإرث خلية

فاتحاً بدءَ الطلوع..)

١٩٧٠/١١/٣

شهادة البكاء في زمن الضحك

obeikandi.com

إهداء لم يسعفه وقت الروح

إلى الشيخ عفيفي عامر مطر:

على الجمر الهادئ لقرآن الفجر وركوة  
الأوراد وعنفوان الروح وصرامة  
التحديق في مصائر الخلق بين موت  
وحياة وحق باطل. . كانت كرمي  
تخضر وتُساقط متثور الحصرم ومنظوم  
الدمع على بساطٍ من رماد الأزمنة.

## إيقاعات مرئية من حدائق الصوت والصدى

### افتتاحيات

(تتداخل الأشياء ويقتحم العالم فضاء النفس بأخلاقه وفوضى مساحاته الصوتية، تصبح الأشياء قشرة تسجن هواجس القلب وتجهض بذرة الهارمونية، فنغرق شيئاً فشيئاً في رمل الغربة والاستلاب، نضيع في كتلة الأجساد المتضاغطة المتدافعة في الشوارع والحافلات وأضواء الدكاكين وعلامات السير، تتفرع شجرة الكراهية وترمي في كل عين بورقة وفي كل قلب بزهرة من أزهارها السوداء، وكأن اختلاط الظلال على الأرض رؤيا عراك دموي مؤجل، وتصبح اللغة سورا قائما حول كل فرد جاعلا من مواطني القدمين وطنا ومن الجسد جزيرة وحيدة ومن العقل شكيمة تلجم اللسان وتخرس الإفصاح، وفجأة.. تلتقط



الأذن إيقاع آية من القرآن مرتعشة بالصدى تخترق كتلة  
الأجساد وقشرة الأشياء، تهدم أسوار الضجة الخرساء وتجعل  
المنفى وطنًا مغسولًا بمطر الفهم وتقلب فوضى العالم وتعيد  
ترتيب كل شيء، ويتجسد إيقاعها أزمنة وخيوطا تحدد علاقة  
الأشكال والوجوه وتعابير العيون.. كل شيء يصبح حوارًا معها  
وجزءًا من معناها الكلي، تمتد نسيجًا وقناعًا ورؤية، تصبح  
مفتاحًا صوتيًا يشق الأبواب ويكشف خبايا السرائر، يصبح  
العالم حداثق صوت وصدى.. بالسير فيها نفهم ونتعلم فن  
التحديد والتقسيم وإطلاق الأسماء، نصنف أشجار الغضب  
وأشجار الشهادة، أشجار الرحم ولغة القلب وأشجار الكراهية،  
أشجار الثبات والاندفاع والصرورة وأشجار المخاض والولادة،  
أشجار ما كان وما يكون..)

## فاتحة:

بسم الله

باسم الإنسان الميت في طرقات الطاعة

والمشبوح الكلمة في أحزان القلب

باسم اللعنة والمغضوب عليهم والضالين

أبتهل إلى الكلمات - الحربة

والإيقاع الطعنة

والفاصلة الحادة كالسكين

أن تقطع ما يربطني بالإنسان

أن تجعل مني ذئبا يعوي في ظلمات الوحشة والبرية

(هل يصرخ باللعنات الرافضة المهزومة

غير الإنسان العاشق!!)

أبتهل إلى أقمار الطمث المخصب والأشعار  
أن تضرم في كلماتي النار  
أن تحرقني وتبعثني  
أن تجعلني أمثلة هذا الصمت الأسود،  
أن تربطني شارة عار في عنق السجان  
أن تجعلني لفظاً مرّاً في أفواه الدجالين الكذابين  
غير المغضوب عليهم غير المرفوضين  
آمين..

## معوذة:

أعوذ بالشعر من الجنون

لولاه ما كنتُ ولا تفتَّحتُ تحت مشارط الشمس

مسالك الرؤية في العيون

لولاه ما تكوَّرتُ وانبسطت جوانبُ المهجور والمسكون

لولاه لانتحرتُ تحت مطر الدهشة بالصمت أو الخيانة.

أعوذ بالكهانة

من هذه الفضيحة التي تطردنا من جلدنا

تجعلنا نهرب في الأشياء

فمرة نقيم في صخرية الصخر وفي سيولة السوائل

ومرة نقيم في عشاش موتنا

ولا نقيم - مرة - في بيتنا المعمور بالهواجس.

(لولاك يا كهانة

ما أفصحت قصائدي المعتمدة الملعونة

عن غضبي المرير والوساوس)

أعوذ بالبؤس الجريء والوساوس

من راحة التراجعات والتوافقات والتآمر

(أراك يا مصطلح "الظروف"

محنّطاً تُنقل من جبانة السلب إلى مقبرة الإيجاب

فمرة تبرر الهزيمة

والرعب والجريمة

ومرة تجعل من شعائر الموت شعائر القيامة

وتجعل الرحمة طائرًا يفرخ في أسنة السيوف)

أعوذ بي مني ومن تحبطني في اللعنة المقيمة

أعوذ بالرفض وبالقصيدة

من نعمة الرضا..

إيلاف:

أعرف أنني لم أفقد الشجاعة  
وهامتي مشدودةٌ وأعيني مرفوعة  
لكني

لو سقط الرأس أمام السترة الكاكية الأنيقة  
وسقطت والدي مبيضة الضفائر  
ومزق الصحاب ما كتبت من رسائل  
وانتسخت ملامحي في ظلمة الرءوس،  
لو أنني واجهت ما ينبت تحت الأوجة المسموحة  
من مخلب وناب،  
لو أنني واجهت ما تفعله الكيمياء من عذاب..  
هل أفقد الشجاعة  
وتسقط القصيدة الجريحة!؟

صوت يتردد في أركان العالم:

ترفع في وجهي السيف؟!

وأنا أطعمتك من جوع، آمنتك من خوف

بعثرت حوالبك العسس المستيقظ والحراس

غلّقت العالم خلفك حتي لا ترتد

وأقمت أمامك في طرقات السعي مغالقتها المأمونة

كي لا تهرب من نعمائي وعطاياي!!

مالي أنظرك تولول من جزعٍ أو تصرخ

من إجهاض الصيف

وأراك تولول كالممسوس

وتفر كأنك تُقلت مني.. أنت أمام عيوني حيث توليت

ياللقلب الجاحد

يرفع في وجهي القلم - السيف..

تطفيف:

هم في ذرى الأمواج حينما ترتدُّ في انكسارها  
على الشطوط، أو في لحظة اندحارها  
وعودها المهزوم للظلام  
همو إذا تحدثوا فالقول جثتان  
إحداهما ترشَّشتْ على صديدها مستحضراتُ العطر  
والتجميل من قنائن الدس وزهر الخديعة  
لكنهم إذا تحلقوا في السر.. أخرجوا الثانية المنتنة المريعة  
وأَبَنوها ليلة من بعد ليلة.. واغتسلوا وأقفلوا  
دفاتر التمايم المقدسة  
وهتفوا - في الصمت - بالمحفوظ من طلاس النصوص.  
(ما من محدث يقول ما يؤمن به  
ما من توجع يحمل في إيقاعه صراحة الآلام



ما من تعارف تكشّفت في نبلة شراسةُ  
الأرض التي تحبل بالأحلام)

ترتعش الوجوه بانفعالها المفتعل الدخيل  
لكنها - تحت صفاقة الجلد - ارتختُ  
وانتهبت لذائذ الرضا ونشوة الإغماء.

(تفجّري يا كتب النصوص  
تفجري يا كلمات السحر في الطقوس  
واعتدلي يا رقصة الأرض على حبال الأبراج .. )

هموا إذا تحدثوا.. فكل شيء ممكن ومستحيل  
والتحفوا بشملة الترادف المخيف:  
السير والوقوف  
القتل والإحياء..

١٩٦٧/١١/٢٦

## مصادرات على مصير

صورة:

الشاعر الذي يسير مائل الرأس محاذرا في الطرق

المشبوحة

يقتات من جهامة الصوت وعقم رجعه لقمته

المكروهة

يُطرح - في كل قصيدة - على مشرحة الأسئلة اللئيمة

يُسأل عن خلقتة المعوجة القويمة

ورعبه في طرق العصر وعمته الرؤى وغيبة الفكاهة.

\* \* \*

الشاعر الذي يخوض زحمة العالم - بين مهده

ولحده - تسأله الأشياء

في وجهه يلبس كل مشهد عباءة القضاء

في الزمن المرعب كل لفظة أو سكتة شهادة.

صوت:

حاكمني الصباح والمساء  
طُرحت بين تهمة الصمت وتهمة الغناء  
وانكشفت تحت شمس القهر سوءتي  
وغلقت منافذ الأمام والواري  
واحترقت عريضة الدفاع في مواسم البيع  
وفي كهانة الشراء.

صورة:

في زمن الجوع تسمن الأفقية المفلطحة  
وُثْماً الجرائد المملحة  
بالطُرْفَة البذيئة  
وتغلق الشوارع المفتحة  
بالجثث المطوَّحة  
وتستنير المدن القميئة

بالأنجم النحاس والأهله الفضية الصديئة.

صوت:

كيف جرؤت أن تمر عبر بابنا المحرم  
لا أنت من طينتنا ولا علي صدرك شارة الدخول!!

صوت:

أنا مسافر مغترب، غسلتُ طينتي في مطر الفصول  
أرقص في الأعراس أو أنشد في مدائح الفحول  
أو أقرأ المراثية التي أعددتها لأي مآثم  
أو أعصر النبيذ - للذي يدفع - من عصارة الدم.  
حجارة أنا لكل نابح وصاهل وشاحج،  
للندب والطمبول

مؤمن على الحريم، عالم في شجر الأنساب أو في كيمياء

الجنس أدخل المدائن الزانية المدخولة الأصول  
أجعلها طاهرة،

أدخل - متخما بالطبع - في أزمنة المجاعة  
أجعلها حديقة مثمرة أو غيمة ممطرة في  
كتب التاريخ والشرعة  
أنا مسافر أدخل في البوابة الممنوعة  
وشارتي التي أرفعها: قصائدي الطيبة المطيعة.

صوت:

كيف نجوت إذ دخلت الطرق التائهة الغربية  
كيف نجا رأسك من حوافر الخيل ومن خناجر الظلمة،  
لم يسقط بك الجسر  
ولم يُغلق عليك العالمُ الحائطُ  
لم تغرق بل الجزيرة - المنفى  
ولم تسقط عليك السدم - الأعجوبة!!

صوت:

تركت في منقطع اليأس رواحلي  
شربت من ساقية الدماء في دواخلي  
أكلت ما أبقت له عاصفة النيران من سنابل  
وجئتكم أظلع في توافه الهموم  
أجمع باقي من زهر الزقوم  
أخصف من أشواكها دُرَّاعَةً تسترني من وجهي الموشوم  
مبتعدا عن الغنائم المقسمة  
وغائبا عن التحالفات والتواصلات والمساومة.

صوت:

العالم الذي أقام ليلة المأتم.. ماله يرقص في  
سرادق الجرائد المحنطة  
والجبل الذي تطعمنا كنوزَه برادة الحديد.. ماله  
يجتذب السفائن الممغنطة!!

صوت:

القصص المستسخرات والقصائد المعادة

والناقد الأبله والمعلم الجرادة

أقيسة منتجة في منطق البلادة

والشاعر الذي يسير مائل الرأس محاذراً

يقسم أنه سوف يموت غيلةً

وأنه سيبدأ العبادة

وأنه سيأخذ الصُفرةَ من وجوه جائعيه

كي يفرشها سجادة..

١٩٦٦/١٢/١

## أغنية

يا طفلي التي عشقتُها في مطلع الشباب

هودجك الحراب

خضابك الرمال،

والقبة في مطارف الجزائر البعيدة

والخُفُّ من غرائر العنبر والفتوح في زخارف الثياب.

عيناك يا حبيبتي قافلةٌ مثقلة بالكحل والزمان عاصفٌ

يذرو عليهما الركائز الجديدة

والشيب في فوديك

ورقدة الشموخ في نهديك

وماؤك المالح في فخذيك



أجنةٌ شائهُةُ العيون

أجنةٌ مطبقةُ الشفاه

ونطفةٌ لن تشتعل بمائها الحياة

فانتفضي من قبل أن يدركني الجنون

وارتجلي وحيدةً.. وانتظري القيامة

كي تلدي أو تولدي في القبر..

يا طفلي.. يا قمر الأشعار

يا غربي التي تطلع مثل السر

ارتجلي وحيدة في الشعر

واغتسلي بالنار..

١٩٦٧/١٢/١٤

تطوحات عمر:

انقسامات واسقاطات

- ١ -

أشعر أني أدين للهواء

بالثمر الذي ينضج في حنجرتي الملتهبة

أشعر بالدماء

ترضع من عناصر الأرض وزرقة السماء

وفي فقار الظهر وانحناء الضلوع

أشعر بالدموع

والعرق الذي تسفحه السواعد المغتصبة

أشعر بالزروع

- في جسدي - تصرخ من غرابة الجزاء.

أدين - حينما أفصح - في الأسئلة البريئة  
للغة الخبيثة.

أدين بالولاء

للشمس والكواكب المحتجة

والجسد - النسيئة

يسألني في الصباح والمساء

عن موسم الوفاء

وردّما أحمله من الودائع المنتهبة..

تطلقني الرياح في فجاجها الدامسة الوضيئة

تسألني عن فديتي وذمتي البريئة

والموعد الذي تضربه ما بيننا سحابة النقاء ..

في الليل.. كانت العناكب السوداء  
تنسج لي عباءة  
تسترني "تفضحني" إن طلع النهار  
كانت خناجر العيون  
تنزع عني قشري، تتركني معلقا في الشعرة التي  
تفصل بين الليل والنهار  
مختبلا في لعبة الأقفاص و المحابس المزخرفة.  
و حينما تقطعتْ أربطة اليقين وانطرحْتُ في  
أقبية الأقضية المخوفة  
مررت في معاجم الألسنة المحدثّة القديمة  
فانكشفتُ خيانةُ الأسماء.  
الشبح المثلث المختبئ اليدين

يجرسني من سقطة الفجاءة

يقطف من هزائمي وغضبي عطاءه

يخاف أن أخونه بالموت أو تخطفني الرياح في سنابك

المصادفة

فتصبح الرشوة والأعطية الموعودة

نسيئةً تستوجب الدفع وصخرة تسحقه بالدين..

\* \* \*

أيتها الأسماء

من معجم لمعجم قطفت ما يطلع من أزهارك المنخطة

ومن سيوفك التي تقطر بالدماء

تنبعث الأشلاء

في الكفن الذي يُنسجُ كلما استدارت الفصول.

\* \* \*

هذا خراج السنة الجائعة اليتيمة:

اللُّقحة التي تُزبد في ضروعها غمائمُ الخير ويحبل

## السنبل والكروم

قد جَوَّعت صغارها وانطفأت في ليلها النجوم

وهذه قريش

من بعد أن تحمَّلت أمانة السَّقَاية

تجلس فوق العرش

وهذه مساحب الفئوس في الأصابع الناشفة الممزقة

تصرخ في أودية الولاية

تسأل عن مراسم الوصاية

وهذه العمائم التي تكرر كلما تقلصت من تحتها الرءوس..

\* \* \*

هذا حصاد القهر:

الحارس الذي أقمَّته في هذه المدينة

خرَّبها كي يبتني بوابةً للقصر

رأيته منتفخ العينين (علَّه يفسق في الظلام)

رأيته مرتعش اليدين (علَّه ييسط كفه في المال أو

في الجسد الحرام).

رأيتني أنام

على مكائد الإمارة - الجيفة

والحباله التي تُنصب لي في طرق الخيبة والجحيم.

أيتها الأسماء

فلتُسفري عن وجهك الخفيّ مرة.. أيتها الأسماء..

المرأة التي تنبت في أعراقها صَبَّارَةٌ الشهوة والعذاب  
تخمش ما تراه من فاكهة الشوك التي تطلع في حدائق  
الجسد

تشد ما ارتخي من الثياب  
من تحتها يرتعش السرير..

والرجل الذي يركب ناقة الفتوح  
قد طوحت بوجهه زحزحة التخوم  
فصوئته مركبة تسبح في السراب  
وعطره جزيرة طافية تسكنها النجوم.

صوتاهما يلتحمان في مدارج الرمل،  
ويطلعان قمرَةً في سعف الخرافة  
بينهما.. عباءة الخلافة



قد ابتنت حوائط الغياب والمسافة.

\* \* \*

أرى المناجل التي يأكل من شَبَاقها الحَصَّاد  
وُثِّبَتِي من شِقِّها مدائنُ العالم أو يُعْتَصِر المِداد  
تحولت في طرق الرماذ  
سنايبكا للخييل، أو سلاسلًا للقيد، أو علامة  
تلمع في أوسمة الأوغاد.

\* \* \*

أرى التخومَ زُحِرَتْ.. فامتلاَّت بالدَّغْل النوايا  
وامتلاَّت خزائن الرشوة والجباية  
وبيعت الحرة بالسبايا..

الخير سكتي والشرُّ في خُطَايا  
أيتها الوصايا  
تعطنتُ فيك البذورُ أم تكلَّست طينْتُكَ  
السوداءُ والجذور!!

أرسلتهم كتائباً أرسلتهم سرايا  
فانكسرت رماحهم بتخمة العطايا  
والتمعت في الفرش الممهدة  
الأعين المذعورة الغريبة  
وانسكبت خزائن الثغور  
واقتل الأبناء ليلة الموت على توارث السبائك  
التي تُقطع بالفئوس  
وانكفأت علامة الشهادة  
فأصبحت علامة انتحار..

\* \* \*

أرى ظلالك التي تمتدُّ يا أبا سفيان  
أقنعةً تلبسها الوجوه  
أرى الطقوس فوق وجهك المشبوه

تؤتي ثمارها المرّة في أربعة الفصول

فأنت في ولائم العرس مقدّم ممتلئ الشديق

وأنت في أزمنة الوباء

تكتنز الفضة من تجارة الأكفان..

أهربُ من بشائر الطاعون

(فالجثث التي تزرعها الأحقاد والمقامرة

تعفنت، وعافت الطيور لحمها، المعذب المنفي

من مملكة الظل ورحمة الشهادة المبررة).

أهرب من تخبطي في طرق العذاب للسجون

أصبح مرةً على رعوس الشرط الغيلان

(فليس يأمن الأرض سوى السجان

تخدمت أو قويت مقاليد الخلافة).

ومرة أرقد في الزنزانة

أطرح فوق أرضها الجاسية العريانة

أغنيقي وطنيتي الممتحنة

أعلك حين يهبط الظلام

الآهة الشوكة والدموع

والمضغة التي تشعلها الحسرة في الضلوع.

أهرب من نوافذ السجون

في الضوء والرياح والمراكب التي تبحر في مضائق الظنون

أسقط في المصيدة الضيقة الوسيعة

تضربني حواجز الفكرة والطبيعة..

\* \* \*

أرى عيونكم مطفاةً الإبصار

أرى وجوهكم يرشح فيها القيء والرعب والاصفرار

أراكمو أفقيةً مدبوعةً بالصفع،

أظهرًا تقوَّست في طلب النوال والصفح،

أراكمو مسامعا تضخمت بالهجر والنميمة

أراكمو بالأوجه الذميمة

مسبَّعةً تقاتلت واغتلمت باليأس والهزيمة.

(لو طلع النهار

وأدركت قريش أنها قد غلبت في النصر والهزيمة

لارتدَّ بأسنا ما بيننا

وانكسرت في لحمنا سيوفنا المشئومة).  
أراكمو سحابةً يودُّ فيها الصمتُ والغباء،  
أغنيةً شائهة تصرخ في مظاهر الإتاوة،  
جمجمةً تملؤها الأحقاد والتخونُ المشبوه والضراوة  
أرى مخاتلاتكم تقنَّعت بالطاعة اللئيمة  
ألقيتمو بمقود الأمر إليَّ واستنتمو للصمت والنساء  
والبيع في مساجد الله وفي الأقوات والشراء  
(أشرس ما يكون  
تخوُّفي واليأسُ والجنون  
في عنقي أمانةً.. لكنها تخون).  
أيتها العيون  
متى أراك غاضبة  
متى أراك تدمعين بالصدق كأنك السحابة الرحيمة  
أو تلمعين كالخنجر حينما تشحذه الشرارة  
متى أراك في توثب الثورة والقيامة  
كي أترك الأمر وأعبر البرزخ للسلامة!!

الهوّة التي يسكنها الإنسان  
تزوجت وحشّتها من جوعه  
وليلها من رعبه  
وشهوة الدماء في ظلالها  
فولدت خلائقَ الظلام  
ترقص فوق سقفها الشمس والغيوم  
والقمر المجنح الطائر والنجوم.

الهوة التي يحفرها الإنسان  
بالصمت والكآبة  
بالصوت والكتابة  
وباقتسام الأمر بين شارة السيد أو مقاود العبيد  
يعبرها الرب مدممًا بلغة البروق

يعبرها الأقزام  
متوجّين بالقهر وبالدماء.

\* \* \*

الهوة التي تمتد - كي تضيق -  
متى يعبرها الإنسان!!



العالم الذي يطلع من دمائي

يرقص في تداخل الضوء مع الهواء

يشق عنه قشرة الموت الذي يزحف في أعضائي.

\* \* \*

في وجع من دهشتي وحيرتي أسافر

من مدخل لمدخل أمرق في مآتم العالم والمساخر

ألبس من تفجُّعي عباءة

خيوطها تذكُّراتُ الشمسِ والشهوة والضفائر

نسيجُها مرَقَعٌ

فرقةٌ من كفن

ورقة من بيرق

ورقة من سندس المجازر

أدخل في الشوارع المضاءة

فتستدير في تعامدٍ محيرٍ، يختلط الرجوع بالعبور..

\* \* \*

ها أنت يا معذبي.. تسألني الدخولَ في مستغلق المعابر

تسألني في اللحظة المسمومة المريرة

أن تلبس الملامحُ المربدة الفقيرة

أفنعة الغبطة والرضا.

ها أنت يا معذبي تُدخلني في الزمن الرحيم

تسألني - في عالم مكور وأسطح منحنية -

أن أبدأ الرحلة حيث اعوجَّت المحاور

علي طريق ثابت ومستقيم

والعالم الذي يطلع من دمائي

تَوَجُّعٌ يقول لي: تعال

وغضبٌ يقول لي: بوابتي مرصودة الأفعال.

\* \* \*

في لعبة الحناجر

ولعبة الرغيف

ولعبة الأصوات في الحناجر

ولعبة الأليف والمخيف

أبحث عن شرعية الطقوس

والعلة الخفية التي توقعنا في شرك اللصوص،

تقعدهم مقاعد الإمارة.

اعتصرتُ يداك نطفةَ الأرض ونطفة السماء  
وهبتني تحيرات الصمت والغناء  
أوقفتني ممتلئاً بالحب والعطايا  
محملاً بالشعر والعذاب  
أغص بالشكر وبالخوف وبالبكاء.

\* \* \*

أعرف أنني علامة على السقوط والبراءة  
أعرف أنني - هنا - أحمل صرخة الأبكم واليائس  
أو ظُلامة الأخرس

أو تفجرات الفعل في السواعد المقيدة  
أعرف أنني محيرٌ في هذه الشعائر الميتة المحددة  
لكني أولد في تواصل الظلمة بالنهار  
أولد في تزاوجات الحب والطبيعة

أولد في السؤال حول سقطة الإنسان في الفجيرة  
لكنني أموت

في كل صرخة يُفتح أو يُغلق في إيقاعها التابوت.

\* \* \*

حَمَلْتَنِي - يا مطلقني في طرق العذاب - بالعطايا

وزدتنني تدمُّما وغضبا وخيفة

أطلقتنني محترقا في جسدي المشبوح

أصرخ في تخبطي ما بين هذي السرج المعلقة

وبين هذه القتامة الغائرة الجذور..

\* \* \*

لو أنني أتيت

مُطَرِّحًا شواغل المعاش والمعاد

مطر حقا قصائد اللغو على أبوابك المظلمة الرهيبة

لاستغلقت في وجهي المسالك

واستغلقت طرائق القبول والمهالك

وانفتحت عن جثتي المشوهة

مقبرتي، وعافت الطيورُ لحمَها وكرهت صديدها الديدان  
وردني التراب

فضيحةٌ وجسداً معلقاً بين رياح الموت والحياة  
محنطاً تستره أردية الأحياء..

\* \* \*

يا منقذي.. لمن وهبَتي الدماء!  
أعرف أنها في جسدي وديعة  
أعرف أن صوتك الرهيب في استتاره بقشرة الأشياء  
يصرخ أينما توجهتُ  
وجسدي يأكلني  
وحفرتي تضيق

فلترمني بحربة العدو أو بحربة الصديق  
كي أنزف الدماء في الشعر وفي السنابل  
كي أعبّر المضيق  
مستفرغاً هباتك المحرقة المريعة..

١٩٦٧/١١/٢٥ - ١٩٦٧/٤/٢٢

## تجريضات عمر

١- مواجهة:

كنت أدبر المؤامرة  
أحمل عُزَّايَ من العجوة في المخلاة  
وأرتعي الضَّبَاب في الفلاة  
كنت أسائل النجمة والحصاة  
عن صمتها الذي تخارجت به عن طرق الردى وطرق  
الحياة.

\* \* \*

أجاعني السُّؤل وجففت حنجرتي مرارة الظمأ  
أبحث عن كفارة  
تجعلني محرراً العبارة  
أبحث عن تواطؤ يقدحني في اللفظة الشرارة.

\* \* \*

حدثني محرك النطفة في الغمامة  
بأنه كورني في رحم الدمامة  
أخرجني وزرع الحسرة في العروق  
حدثني بأنه يسخر من تحبُّطي في طرق البروق  
يسخر من تمربي وحسرتي بداخلي مقيمة  
يقول لي:

"في مطر الغيلة أو في شرك المكيدة  
ودمك الساقط في الثريدة  
ستجد العلامة  
والموعد: القيامة.."

\* \* \*

أغاضب الظلمة والنهار  
أقطع ما يربطني بالغيم والسراب  
يجيعني الوقوف بالأبواب



فأنفض المخلاة

أخرج ما صنعته من عجوة في هيئة الإله  
أكله من سغب لم تفلح الصلاة  
في رده.. أنتظر القيامة..

مونولوج:

ها أنت يا عمر  
تحمل فيك جثة القضاء والقدر  
تحمل فيك صنعة الخلق وقدرة التهديم.

لو كان رافعا بحوله سقيفة السماء  
أو مجريا في طبقات الأرض ماءه القلسم  
أو مطالعا من ليله مصابح الفضاء  
لاهدمت بدمه روابط الأشياء..

أخرج أول الشباب جائعا..

تركني رواحلي في رحلة الصيف ورحلة الشتاء

أخرج في قافلة اليأس،

تخونني قافلة الرجوع

أحمل في الرَّحْل تجارة الدموع

أدخل في المساومات..

أحمل القمح وأحمل الزبيب.. غير أنني أجوع

لأنني أبيع ما يباع

وفي دمي تشتعل الشهوة للمقايضة.

\* \* \*

الشمس أسرجتْ أحصنة الصهد وأطلقت حراهما

فانقلبت في دمي السماء

تغسل - من تراهما - النجوم والبرق وتغسل المطر.

\* \* \*

أختار أن أكون حيثما تكون القلة المستضعفة

مسرّبلا في الهزء والزراية

أختار أن تهجرني الدرابك المزيفة

وأن أموت في مشانق القصائد المرقعة

أنشقُّ عن تنطع الجماعة

وآكل التراب في زنزانة القضية المناقضة..

\* \* \*

في وضح النهار

أنظر في كلاحه الوجوه

مستعديا هدوءها المشبوه

أكشف عن مقاتلي وأستثير القرم المكروه.

\* \* \*

اليوم لن تشملني السكينة

بغير أن تضربني في مقتلي خناجر الضغينة

اليوم لن تشملني السكينة

بغير أن أركب ناقة الردى إلى الخلاء

اليوم لن تشملني السكينة

بغير أن أطرح من دمي عباءة لتشرب الأرض وتشرب

السماء

بغير أن أدفع ثمن الشمس وفدية القمر

مقايسا بدمي المشتعل السجين.

مونولوج:

ها أنت يا عمر

تخرج في رائحة النهار

مستعديا عليك اللؤم والغيلة،

صارخا في البشر الأحجار

أن يرحموك من غوائل العروق

أن يفتدوا بدمك المحروق

ظلالَ نخلة أو قطعةً من الحجر.

ها أنت يا عمر

تخرج للفلاة

مستعديا عليك العالم الجبان والسعلاة

مستوحدا معذبا مشتعلا في دمك المحرور

تبحث عن شعائر السكينة..

### استفزاز:

أردتُ لو وضعتُ في يد السيد مقود العبد  
وفي يد العبد مفاتيح الوصاية  
مررت في الأسواق رافعا من غضبي علامة وراية  
يدخل تحت ظلها الآبق والمهارب من مظالم الولاية  
مررت في مضارب العلية والأشراف  
مشهرا باللص والخازن والسياف  
أضرب في الوجوه ما أرى من صلف الأجلاف  
مفتعلا قساوتى وباكيا في الليل رحمة  
وخائفا أن ترفع السوائم البكماء  
- من غير أن أسمعها - صرختها بالجوع والشكاية..

مونولوج:

ها أنت يا عمر

تثير ما استكنَّ في وجوههم من صلف مقيت

ليدفعوا عليك من تجارة النذالة

الرشوة المحيية المميتة.

أضاعت الكُظَّة من صدورهم نوازع الرجولة

فلن تموت يا عمر

مجنّدا في دمك المشتعل الحزين

في زمن التخمة والجماعة

يُستأجر القاتل بالدارهم التي تسرق من أرغفة القتيل..

### استعراض:

أراه في جوانب المسجد راقصا مقتربا مبتعدا  
معلقا في الضوء والعتمة، في تربصاته، منكمشا ممددا  
منتظرا بين فواصل السورة،  
بين آية وآية

وطالعا من رحم الليل وبيضة النهار  
ومنشدا مرثيتي في السعف الأخضر والعرار..

\* \* \*

أنام في المسجد والعراء  
أعرض - في تغافلي - التَّهْزَةَ للمشيئة  
منتظرا طعنتها الجريئة  
منتظراً أن تثمر الرشوة والأعطية الحبيئة  
سنابل الدماء.



مونولوج:

ها أنت يا عمر  
تكتشف عورتك:  
حزنك وانتظارك الطويل.

تؤمهم، تكشف ظهرك المرئي للصفوف  
مستطلعا وشائج الدحل ونذر الحقارة  
ومغريا نُهابة اللقمة والإمارة.

لا رحمةً يتركني القاتل بل خيانة  
أيتها الضغينة  
فلتطلقِي قُبْرة الدماء في الحقول..

١٩٦٧/١/٢٢

## اليمامة الدامية:

من رؤيا ١٩٦٤

كان في قلبي عَش من نديف الزغب الأخضر  
مجدول بمنديل النريف

ويمامة

كلما أثقلني الحب رمت زهرة نارٍ وعلامة  
طوّقتني بالمواريث التي حُمِّلْتُها من قرية النمل القديمة  
فأرى الشمس تدلت (في غواشي الحلم)  
أعطتني الشعار الملهب  
فتقاسمتُ مع الأرض الرغيف  
وافترقنا.

(سأعطيك إبريق ماء غريب  
لكي تغسلي فيه حزني

وكي تغرقني فيه ما اعتاد قلبي الكئيب

من الموت،

لا تتركيني ولا تسمعي من تراب الدم الحي رؤيا

ولا تطلقي طائر الدمع مني

دعية يَرِدُ دارةَ الخمر والشعر،

إن الرؤى لم تزل من ضلوعي تفرُّ

وما زال خبزي دمي الحيُّ،

أنسيت ما كنت أعددته من حكايا

لكي أطرده الصمت عنك.

تعالِ بنا ننطلق ساعة في الظلام

لتهوي علينا سحابات أحلامنا باليمام المضيء

ونطوي كتاب النزيف..)

كل شيء دامعٌ، كل رصيف

تنثر الريح عليه الذكريات المبهمة

كل شيء كان يُستقطر مني

وأنا كنت أغني

في خلالي كل شيء

- وأنا أنظر من طاقة سحني -

رفرفتُ وانزلت إحدى النجوم

غطست بين الغيوم

طلعت نجماً نحاسياً على سترة سحاني الغشوم

وأنا أنظر ما بين الزوايا

يصعد الطفل الذي يلبس وجهي وخطايا..

(تعلقت بالقمر المتخفي وراء الضباب

ولم يتقدم معي جسدي المتعشش للنوم،

لم يمتلئ بالتشهي الجبليّ،

خلّعتني الرعب من لغتي الرؤيوية

وعرّفني في اختراقات ألوانها الغريبة  
رموز الأساطير والشجر المتهدل في طرق الخرافة  
وعرّفني فرحة الشمس والقمر المتكسر  
في أحرف الأبجدية  
وعرّفني وطني واغترابي).

يصعد الطفل الذي يلبس وجهي وخطايا  
يدخل الساحة في موّاله المغترب الإيقاع  
تغشاه الرؤى منفتح العين، يغني  
- راقصا - يحلم بالشمس التي تطلع من عنف الدما  
والقمر الساطع في جوع الجسد  
كلما مرّ بأبواب المدينة  
نزّ من أخشابها الطمّثُ وغارت سوسة الشهوة  
للطمي وأنفاس الولد  
نز منها الطمّث حتى اصطبغت منه الزوايا الحجرية

يهرب الطفل علي جلبابه بقعة دم.  
عندما تضرب ساعات الميادين تمام العاشرة  
يتخطى حائط الرؤيا فأكسوه بلحمي وعظامي

(أصعد في السلم الدائري الذي ينتهي بالسقوط  
وفي مفصلي الثلج، يهتز في أضلعي عنكبوت القنوط  
هنا.. كنت في قرية النمل وحدي  
وفي عتمة الليل يبكي دمي الطفل،  
يشطرنى خنجر الرعب طفليْن  
- في ظلمة الروح - يتدثان الحوار  
بخنجرتي يتراشق صوتاهما بالحجار  
وفي قرية النمل ألقى ربيع "البلاجرا" بأزهاره  
شارة في الصدور  
صرخنا إلى أمهات مقطعة الشدي..  
في سنتي العاشرة

رأيت سقوف الظهيرة تهوي  
وتهجر صوتي الخرافة  
تطاردني بومة الصيف،  
أبكي لأخفي خفايا التواصل،  
أبكي إذا ما تساند فوق الثرى حجران  
وفي ليلة الجوع ظللنا حلمٌ بزهور المطر..)

وأنا أبحر في صوت التواشيح الطوامي  
والمواويل الدوامي  
وأرى في قمر الصرخة مهمازي ورمحي وحسامي  
أركب الناقة ما بين شقوق الصحراء  
قربتي الصهدُ، ويأسي خيمتي،  
والشمس في رأسي سفايفدُ الشواء..

(توَحَّدتِ بالنهر والأرض حتى سمعتكِ بوحا

يغمغم في كل ساقية خشبية  
رأيتك مغمومة القلب في كل صوت  
ومجهدة الوجه في كل تقطية واصفرار  
ومطفأة العين في كل دار  
ومرخية الشعر في كل صفصافة،  
ورأيتك مشبوحة في الرياح  
ودافئة تتفجر منك الحدايق في ردهات القرار  
تنفست ريحك في كل دفقة ماء وفي كل  
توقعة من مطر..)

وأنا أحمل في هودج أسفاري المخيفة  
ذهب التاج وكنز الأمراء  
ومراسيم العطاء  
هللوا يا فقراء  
هللوا يا فقراء



هللوا يا..

\* \* \*

كان في قلبي عَش من نديف الزغب الأحضر  
مجدول بمنديل النزيف

وبمامة

كلما أثقلني الحب رمت زهرة نار وعلامة  
وأنا أخلع لحمي وعظامي  
أخصف الأوراق - مما تحمل الريح - قناعا  
أعبر البحر وأمشي في الثغور  
أدخل الأرض وأغفو في الجذور  
وأعود..

\* \* \*

حينما أنكرني صوتي وأنكرتُ قداسات الجسد  
كنت - من رحلة موتي -  
عائدا.. أدخل أبواب المدينة

فأرى فوق الرماح

جسدي الميتَ مصلوبا،

ومنديل النزيف

مزقا فارغة،

أنظر في دائرة الأفق الفراغ..

١٩٧٠/٩/٣

## من طقوس مقتل عمر

١ - صوتٌ عن الفضول:

هذي فضولُ المالِ

تمتد في الرمالِ

جذورها،

تشرب من سحائب الآلام والمخاضات التي

تُجهض في مصائر الرجالِ

تَخْضَرُ من حراشف الجوع علي الصدور أو

تمد فرعها عبر نوافذ الدموع أو

تطرح ظلّها المعتم في القرى وفي النجوع أو

تطرح زهرها الأحمر في حدائق الحرب

وزهرها الفضّي في أوسمة القضاة

والمعممين بالصمت وبالحيانة  
تطرح من أزهارها الصفراء والخضراء  
قصائد التشنُّج الطويل والمدائح  
وكتباً زانيةً وصحفاً ملعونة  
ومدناً مخيفةً مأمونة  
ورغوةً من الحديث لا تجيب عن تساؤل أو تطرح السؤال.

(تحدثني يا شجرة  
عن معجزات المعدن الذي ينبت في الصلصال  
مستجمعاً عصارة السواعد الشقية المانحة المحرومة  
وطارحاً من سحره في الثمرة  
حلاوةً في شفة الأندال  
مرارةً في عصب الموال  
تحدثني يا شجرة..)

هذى فضول المال

تلمع في مجوهرات المومسات والعمائر المفروشة المجهزة

للقفز - من تواطؤات الجلد والتقوى إلى الفرادس التي

تسرقها الأصابعُ المخاتلة

من كل آية رقيقة في سورة الرحمن

وبالتغافل اللئيم عن تفجُّرات الغضب الخلاق في الأنفال

والسير في تراحمٍ وهرولة

حين تُقسَّمُ الأسلابُ والغنائمُ التي

تَقْطُرُ من مقاتل الجماعة

وحين تبدأ الخيانة - الفرارُ من بشائر الطاعون والمجاعة

بالبحث في الرقوق والذاكر اللئيمة

عن آية تبيح ما يُشرب من دم وعرق مسروق..

هذي فضول المال

تطرح ظلها الممقوت في رشاقة المآذن

وأضحيات الرعب والقباب

(تحدثي يا شجرة

عن هذه الفاكهة المعطوبة

والأعين المثقوبة

وزهرة الدماء فوق شوكة القلوب

تحدثي يا شجرة..)

١٩٦٧/١٢/١٤

## ٢- صوت آخر عن الفضول

سبحان من حوَّ لها في ظلمة الخزائن  
قوافلاً تعود بالمدائن  
زخارفا ترقص في المآذن  
مزارعا توالت، سفائن  
تحمل جوف البحر..

(تحدثني يا شجرة  
عن غُصْنٍ نأخذ منه الرمح  
عن ظلمة نبدأ منها الفتح  
وشهقة يسكب منها الجرح  
الغضبَ الجنينَ والفجاءةَ المنتظرة  
تحدثني يا شجرة..)

سبحان من حوَّ لها في عتمة الدفاتر  
عصفورةً تنسج عشها الخفيَّ في الضمائر  
وصيحةً مكتومة تسافر  
من شفة لشفة.. تفرخ في الصدور  
وتشخذ الخناجر.

(تحدثي يا شجرة  
عن لمعة الحقد التي تنبت في العيون حينما  
تنظر ما تحمله الرحال والقوافل  
وما يحوك في الصدور من تأمر تكتمه المخاوف  
تحدثي يا شجرة  
حديثك الذي يُغرس في الضلوع  
من قبل أن تدركنا الفتنة والضغينة  
تحدثي يا شجرة



### ٣- التحامُ الظلِّ بالظل

بيني وبينك أيها الصبح

ستُّ من المدن العتيقة

بيني وبينك من شوارعها الوجوه الصُّفْرُ واللغة العتيقة

بيني وبينك من نوافذها زجاجُ اليأس والسُّتْر العتيقة

بيني وبينك أيها الصبح

غيمٌ تبرَّعَ فيه السوسُ والملحُ

أرضٌ تفتَّقَ وجهُها المشقوق

عن وردةٍ ألوانها جرحُ

وفراشةِ الفخارِ والخِرْقِ العتيقة.

\* \* \*

كنا معاً.. بيني وبينك خطوتان

(كنتُ صراخَ اللحم تحت السوط  
وشهقةَ الرفض إذا تقطعت مسافة الكلام  
بالسيف أو شعائر الإعدام  
كنتُ احتجاجَ الضوء والظلام  
وثغرةً تمرق منها الريح  
لليائسين من أرغفة الولاة  
والخائفين من ملاحقات العسس الليليِّ  
أو وشاية الآذان في الجدران).  
بيني وبينك من مسافات التوجُّسِ و الحوار  
وأخوة السجن المؤقتِ و الشجار  
تفتَّح السحبُ الحبالى الممطرة  
ماءٌ يشير إلى خطاك.

\* \* \*

كنا معاً .. ظلي وظلكُ مهترتان

تتواثبان وتعلكان الحمحم

كنا معاً رمحين ينقذفان للأرض الجديدة والأغاني المبهمة

حتى إذا جئنا قرى النمل المحاصر في الشقوق

أعطاك - من حرص الجبلية والطقوس -

عرشاً وأعطاني السكوت .

( أصبحتُ مهمازاً وحيداً يلبس الصداً

جمالاً - بعُرّ الصمت - يكي الماء و الكلاّ

بيني وبين مدينة الأحياء والموتى

قمرٌ قد انطفأ

زمنٌ تصلّب ، صحراء من الأصداء .. )

\* \* \*

لو أنني لم أسأم التحديق في نخل السراب

وأسيرة الصبار و الصمت المدجج بالحراب

لظلتُ مبتعداً ومنشقاً يخاليني زواجُ الريح

و الماء المقطر في السحاب

وظللتُ حلمًا لا يريحك إن غفوتُ

(وحلَّت الحنية

من بيننا زالت مسافاتُ التلفتِ والكلام

فتوحَّد الظلان والصوتان،

لم أسمع خطي الموت الدفين

وصرختُ كي أنجو فأذهلني السقوط

وعلي جيبني من دمائك آيتان:

موتي بموتك، وانتظاري المرتعد

- في برزخ الأحياء - حتى تشرق

الشمس الجديدة بالقصاص..)

١٩٧٠/٤/١٩

٤- عن طقوس الهيبة المسرحية

- ١ -

.. وكانت الأرغفة الجديدة

- ما بيننا - قنطرة ممدودة

تعب فوقها أحلامنا الساغبة المضفرة

من دمننا الطالع في السنبلة المعقودة

(العيد في الساحات، والأعلام

تحجب وجه الشمس

والأوجه المنقوعة العينين في الآلام

قد طأطأت لا تستطيع الهمس

في مآتم أم عرس

- كانت صفوفهم تضجُ - أم في ساحة الإعدام؟!)

كانت شظايا العرق المخبوء

خريطةً للإرث، شجراً جذوره تشابكُ الأنساب

كانت خطاي عودةً سرية

لكل ما تحمله ذاكرةُ الأحجار

من رعشة الإزميل وانتفاضة الولادة

(العيدُ في الساحات والأطيّارُ

كانت تطير في اللهب

ترش سأمَ الجموع بالغضب

لكنها حطت علي الأسلاك

كي تستريح لحظةً فاحترقت

تطايرت أشلاؤها بين الشعار والشعار).

كانت وجوهنا المشوية

بالجوع والرعب وبالعطاء

تعود للقراءة الليلية

في كتب الأنساب وانتظارنا للدورة الألفية

(كانت قبيلة النهب المباح والخيانة الشرعية

تلتف من حولك حلقةً فحلقةً..

فامتدت المسافة

ما بيننا.. تطلع كالخرافة

تصرخُ في أصواتنا الملتاعة

عصفورةُ احتجاجنا ورفضنا.. تطير

في دمها،

لكنها تمر في تحولات الذمم الرواغة..).

## تطهير مسرحي

في ساعة النازلة المخيفة  
يموت في الدائرة الثلجية  
هذا السجين في أقنعة الخليفة.

في ساحة الإعدام  
- من فوق هذا المسرح المقام -  
يسقط بيت المال  
من جبة الإمام  
و.. ينزل الستار  
ويخرج المشاهدون دامعين ضاحكين..

١٩٧٠/٥/٤



-١-

بدوي، نسج الرملُ له  
من جلود الشاءِ والصَّهْدِ حِباءِ  
أُنبت النخلُ له من ظمأ  
كسنانِ الرمحِ في نبعِ الدماءِ  
ورمى أرغفةَ الخوفِ له  
وشواءً من جرادِ الصحراءِ  
ملك الكونِ ثريداً نيئاً  
وبكاءً في تماويلِ النساءِ  
وانتظاراً للردى يطلع من طعنةِ الثَّأرِ ورمحِ الخيلاءِ

وانتظارا للذي يدفنه  
في صعيد الأرض أو صوت الحُداء.

-٢-

كانت الأرض صناديق لغات وشكاوى  
كانت الشمس شظايا  
تقلب العالم كالجن، وتعطي زهرة الحلم وإكليل السنابل  
وأنا كنت أقاتل  
شبح الطاغية القابع في كل ضمير  
والملوك المتخفين بأسمال اليتامى الضائعين  
وعروش الفقراء الخونة.

حينما أدخلني الحارسُ أبوابَ الإمارات البعيدة  
وتخطى بي الدهاليزَ وأبوابَ الجواري  
ووقفت.

قال من خلف الستار:  
يا أخا البدو تعالُ  
ما الذي تحمل من شكوى الرعية؟!  
عن فلان عن فلان أنه قال..  
فلم أسمع كلمات البقية

شدني وشيُ الستور الفارسية  
وتهجّي الكلمات الذهبية  
وهي تمتدُّ فروعًا ودوائر.

(على سَلَمِ العنينة

تدحرج لفظُ الدم المشتعل

أحاديثٌ تجبو وتنفض عبر الشفاه موثيقها الباردة

فيأتلِف الميتون علي عتبات المجاعة

مع العسس المرتشي وحُداة القوافل

ويأتلِف البيع بين الربا والنسيئة

وطقسِ التكافل

وأنت هناك..

على درعك المرتكن

بقايا الوصايا

وشورى اقتسام الموارث،

والشعبُ بين الزوايا

تبَقَّتْ له رعدةٌ واحدة

قمطاً من المهدي نسجه الرملُ والجوعُ،

ثلجًا من الرعب والشوك ينسجه الموتُ تحت الكفن.

ووجهك.. يا سيد الأوجه الصاعدة

من الزفرات المليئة والأغنيات

بدايةُ كلِّ الطقوس وآخرُها،

كان موتك يمشي ويفتح كنز الممالك للجائعين

يفتح من لغة الأرض بين الربوع

ومن أبجدياتها البائدة

موالي الرؤى والتواصل.

ووجهك تعويذة بين أيدٍ مشققةٍ وصدورٍ نواغل

تُحمّلُ وزرَ الطغاة ووزر الخنوع

وباسمك يفتتح الحرس المرتشي زمنًا للولاء

وأزمة للسياط وأبنيةً للسجون

وباسمك تبكي الجموع).

وأنا أخرج للشمس وإيقاع الخلاء

في انتظار الطعنة المرتجلة.

وأنا كنتُ أقاتل

فرسي تصهل ما بين الصفوف

وأنا أحمل في القلب مواريث الجهات السبع،

والمستضعفون

ملكيون يقيمون العروش

بين تتويج وخلع وجلوس

ومراسيم انتظار الملكة.

(وأنا كنتُ أقاتل

علني ألقي دمي فوق جبين الأمراء

وجبين الفقراء الخونة).

١٩٧٠/١٠/٢٨

## ١ - مرثية عمر

طاردني في خُفّة المقطوع  
يضرّبي بالخنجر المطوي في عباءة الخلافة  
متهمًا إيايَ بالعرافة  
يطرّدني إلى مدائن الهزيمة  
يجعلني حجّته الغراءَ في مواقف القيامة  
(بأنه جوعني ولم يجمع!!)  
بأنه فضّحني، غرّبني، في داخلي نفائي!!)  
وجاءني معتذرًا أليفًا  
ساومني على خراج الصمت باللدائد القاتلة المحرمة  
علمني التنازل القميءَ في رشاقة وكبرياء  
العالم - الخريطةُ الممزّقة  
العالم - الوجوهُ والملامحُ الملفّقة

طاردني في خفة المقطوع

يضر بني بالجوع..

من أنت يا محدثي في الجذر والفروع

من أنت يا مرتحلا في لبن الضروع

وصائحا مندلقا من الحوائط المخربة

وراكضا في عتمة السحابة

من أنت يا أمومة الألفة يا أبوة الغرابة

يا نَهْرًا في الصيف، يا فاكهة في كرمه الخريف

من أنت يا مغيب العينين في حمائل السيوف!!

أخرجني تحولُ الفصول

وساقي من حفرة الرفض إلى شوارع القبول

أوقفني منتظرا فاكهة الألوان

فنشرت نسيجها عناكبُ الذبول

واستنوقتُ جمالنا وأذنتُ في الأسطح الدجاجة.



مسافرٌ في اليأس والكآبة

تضربني - في عَدْوِها - حوافرُ السحابة

أقرأ ما تكتبه الشمس وما تكتبه الكروم

أعود من بوابة الخروج

مكتهلاً، تركض في ملاحي الكآبة

تغسلني مواحقُ النسيان من ذاكرتي،

تحترق الكتابة

وتنبُتُ الحرابُ في الحناجر

وتعشب الحناجر

وتنبت العيون في أقفية الزحام

ويؤكل اليأس على موائد الطعام

متبلاً بالسحت والحرام..

الرجل المثلث الفقير.. في متاهة الصحراء

قابلي، أوطأني الرداءَ والعباءة المرقعة

أقعدني في ظله، قاسمني لقيمة،

ثم رمى لثامه.. فاشتعلت في اللحية الفصول

والتمعت في عينه شرارةُ البدء وغيمةُ الوصول

وانتقلت ما بيننا قُرْبُهُ باليأس والعزاء

وانشعبَ الحوارُ..

(أخرج من أكمامه دِرَّتَه القديمة).

الرجل المثلث الفقير

قاسمني ثريدةَ الرمل كأننا سنأكل الصحراء

قاسمني الجرادقَ المرّة والسراب

وقال لي: تستوجب الحدَّ إذا زنيت

فما تقول في عالمك - الريطة

والنَّهرِ الدُّيُوثِ والطمي الذي يُنبِت زَهَرَ اللواطِ

وشجرَ الزنا وسفلسَ الكروم!!

وقال لي: تخون لو أضعت بَعْرَةً من إبل الجماعة  
فما تقول في من ضيَّع الإنسان في ارتداغه الذليل!!  
وما تقول في من خالس الرياح سرَّها  
روَّضها، أقامها شجيرةً عارية أو حائطاً أو مقصلة!!  
وما تقول في من روض النهر  
وجزَّ رأسه أقامه خَرَّارَةً ومزبلة!!  
وقال لي: ما بين شَرَكِ الشكِّ وشَرَكِ اليقين  
دخلتَ في هاوية التوحيد سائلاً  
فهالك الصمتُ وهالك الظلام  
فما تقول في الآلهة الألف التي تموت أو تُبعث كل عام  
تأتيك في طقوسها تسألك الصمت وتطلب الخراج  
تسألك العبورَ في القناطر الموسمة  
تمنحك الحياة لو دخلت طائعا في السِّلْبِ المنهوبِ  
والغنيمة  
تمنحك النصرَ إذا قنعتَ بالهزيمة!!

الحرس الذي يَدْرُعُ الآن بكل لون  
يثقب وجه الأرض  
يقيم حائط السجن أمام كل بيت  
يزرع في حدائق العالم شجر الكراهة..

ألبسني عباءة اليأس وظمأ الغمام  
ونقشت دِرَّتَهُ خطوطها الزرقاء في القلب وفي العظام  
حَمَلَنِي السلام  
لنَهَرَ العقم الذي يطفح في الزحام  
والزور والأرصفة المراوغة.

حَمَلَنِي السلام  
للجملِ الناقةِ أو للبشر الأنعام

والجوع في القرى المرَّغة.

حَمَلَنِي السَّلام

لكل ما يُكتب أو يُقال

خَيْرَني ما بين أن أحمل شارة النفي وبيرقَ الظلام

أو أبدأ الرقصَ على طقوس الطرق الواضحة العريضة

(ما طعم ما يُدرُّهُ ثدياك يا مومسنا المتوجِّعة؟!

حليبك الممزوجُ بالقصائد المضرجة

أحرقني.. فاخترت أن أجوع).

قابلي مرقعَ العباءة

في كل رقعة دماءُ قرية،

والخيطُ من حشائش الحقول

رأيته يضحك أو يبكي بكل هجة

سمعته يقول

أغنيةً داميةَ الإيقاع تسأل الرُّفْدَ وتسأل الفصول

أن تملأ المخلاةَ بالقمح ليبدأ السفر

من كل استُبُيح من قرى ومن مدن

إلى طريقه السفليِّ في المناجم الحرام..

١٩٦٦/٩/٥

## فهرس الجزء الثاني

الصفحة

- ١ — ديوان ملامح من الوجه الأميزوقليسي ٥
- مدخل ..... ٧
- صوتان عن الحق ..... ٩
- عقم الاخضرار والتجسد ..... ١١
- في المعرفة المرة ..... ١٤
- لو كنت شاعراً ..... ١٦
- وطن لمن يشاء ..... ١٩
- صوت الخيبة ..... ٢١
- مناظر صغيرة من ساحات مدينة ميتة ..... ٢٤
١. المجنون المتجول ..... ٢٤
٢. الانتحار ثرثرة ..... ٢٥
٣. المغنية الشمطاء ..... ٢٦

|     |                                            |
|-----|--------------------------------------------|
| ٢٧  | ٤. تتويج الشاعر .....                      |
| ٣١  | • الشاهد والقضية .....                     |
| ٣٤  | • لو .....                                 |
| ٣٥  | • شكوك .....                               |
| ٤٠  | • المسافر .....                            |
| ٤٥  | • بكائية .....                             |
| ٤٨  | • اترك لكم .....                           |
| ٥٠  | • مرثية إنسان الشمس القديمة .....          |
| ٥٥  | • رقصة في آخر الأعياد .....                |
| ٥٧  | • كتاب المنفى والمدينة: قصيدة وقراءة ..... |
| ٨٥  | ٢- ديوان رسوم على قشرة الليل .....         |
| ٨٧  | • خطوات مقتلعة: أغنيات متحول .....         |
| ١٢٧ | • مملكة اليأس .....                        |
| ١٢٧ | • وطن الإقامة الدائمة .....                |



|     |                                        |
|-----|----------------------------------------|
| ١٣١ | تكوين .....                            |
| ١٣٥ | سفر في الظهيرة .....                   |
| ١٣٥ | ١. تعلل .....                          |
| ١٣٦ | ٢. أمام المرأة "مونولوج" .....         |
| ١٣٨ | ٣. الموت عطية الأسئلة .....            |
| ١٤٠ | ٤. وطن في عينين .....                  |
| ١٤٢ | ٥. قطار الصهد والرماد .....            |
| ١٤٤ | ٦. مدينة البحر .....                   |
| ١٤٧ | • أغنيات من زمن السنابل المحترقة ..... |
| ١٤٧ | ١. أغنية المسافر .....                 |
| ١٤٩ | ٢. أغنية الشحاذة .....                 |
| ١٥١ | ٣. أغنية الطفل .....                   |
| ١٥٣ | ٤. أغنية الصبي .....                   |
| ١٥٥ | ٥. أغنية المغني الخائف .....           |

|     |                                |
|-----|--------------------------------|
| ١٥٧ | ٦. أغنية المغني اليائس .....   |
| ١٥٩ | ٧. أغنية المغني الأخرس .....   |
| ١٦١ | • الحصان والجبل: قصائد .....   |
| ١٦١ | ١. القصيدة الأولى .....        |
| ١٦٤ | ٢. القصيدة الثانية .....       |
| ١٦٦ | ٣. القصيدة الثالثة .....       |
| ١٦٨ | ٤. القصيدة الرابعة .....       |
| ١٧٠ | ٥. تجسد .....                  |
| ١٧٤ | • مملكة الانتظار والرعدة ..... |
| ١٧٤ | أحزان الشبح الأول .....        |
| ١٨٠ | زائر الليل .....               |
| ١٨٢ | الجهات الأربع .....            |
| ١٨٧ | ثأر قديم .....                 |
| ١٩١ | الثابت والمتحرك .....          |

|     |                                  |
|-----|----------------------------------|
| ١٩٤ | ..... انتظار شجرة                |
| ١٩٩ | ..... مديح ثدي                   |
| ٢٠١ | ..... ٣— ديوان كتاب الأرض والدم  |
| ٢٠٣ | ..... • صرخة إهداء               |
| ٢٠٥ | ..... • مفتاح صغير               |
| ٢٠٧ | ..... • بوابة طليطة              |
| ٢١٧ | ..... • إيقاع الغرق              |
| ٢١٧ | ..... ١. غزالة الشطوط البعيدة    |
| ٢١٩ | ..... ٢. الأرض القديمة           |
| ٢٢٣ | ..... ٣. أزهار حجرية             |
| ٢٢٦ | ..... ٤. أرض الرؤيا وشهوة الغرق  |
| ٢٣٠ | ..... ٥. غناء على الأبواب المائة |
| ٢٣٥ | ..... ٦. مهرة الألوان المتداخلة  |
| ٢٣٧ | ..... • عن الحسن بن الهيثم       |

|     |                                 |
|-----|---------------------------------|
| ٢٣٧ | ١. عذاب الأحجار .....           |
| ٢٣٩ | ٢. الصوت المحاصر .....          |
| ٢٤١ | ٣. حلم .....                    |
| ٢٤٢ | ٤. مناجيات إلى النهر .....      |
| ٢٤٧ | ٥. تصادم أقدار .....            |
| ٢٥٥ | ٦. خيانة النهر .....            |
| ٢٥٩ | ٧. يوميات رجل يدعى الجنون ..... |
| ٢٦٦ | • كتاب السجن والمواريث .....    |
| ٢٦٦ | ١. عذابات سرية .....            |
| ٢٦٧ | ٢. المفاجأة .....               |
| ٢٦٨ | ٣. مقبرة الارتحال .....         |
| ٢٦٩ | ٤. تاج الدمع .....              |
| ٢٧٠ | ٥. حصار .....                   |
| ٢٧١ | ٦. تحريض .....                  |

- ٢٧٢ ..... ٧. انتظار
- ٢٧٤ ..... ٨. مملكة الصرخة
- ٢٧٦ ..... ٩. تداخل
- ٢٧٨ ..... ١٠. هجرة إلى الداخل
- ٢٨٠ ..... ١١. وطن آخر
- ٢٨٢ ..... ١٢. تواطؤ
- ٢٨٣ ..... ١٣. سقوط جسر الصرخة
- ٢٨٥ ..... ١٤. انكشاف
- ٢٨٦ ..... ١٥. سقوط
- ٢٨٧ ..... ١٦. موسيقى الداخل
- ٢٨٩ ..... ١٧. تنكر يومي
- ٢٩١ ..... ١٨. حُلْمٌ في زنزانة العزيز
- ٢٩٣ ..... ١٩. استعداد
- ٢٩٥ ..... • الحصان والرأس: من الخرافة الشعبية

- رفع القمع عن فراشة الدمع ..... ٣٠٧
- اشتهاء الملكة ..... ٣١٧
- دائرة الدم ..... ٣٢١
- ٤— ديوان شهادة البكاء في زمن الضحك .. ٣٢٥
- إهداء لم يسعفه وقت الروح ..... ٣٢٧
- إيقاعات مرئية من حدائق الصوت والصدى ٣٢٨
- افتتاحيات ..... ٣٢٨
- فاتحة ..... ٣٣٠
- معوذة ..... ٣٣٢
- إيلاف ..... ٣٣٤
- تطفيف ..... ٣٣٦
- مصادرات على مصير ..... ٣٣٨
- تطوحات عمر: انقسامات وإسقاطات .... ٣٤٦
- تحريضات عمر ..... ٣٦٧

- ٣٦٧ ..... ١. مواجهة
- ٣٦٩ ..... مونولوج
- ٣٧٠ ..... ٢. الخروج
- ٣٧٢ ..... مونولوج
- ٣٧٤ ..... ٣. استفزاز
- ٣٧٥ ..... مونولوج
- ٣٧٦ ..... ٤. استعراض
- ٣٧٧ ..... مونولوج
- ٣٧٨ ..... • الإمامة الدائمة: من رؤيا ١٩٦٤
- ٣٨٧ ..... • من طقوس مقتل عمر
- ٣٨٧ ..... ١. صوت عن الفضول
- ٣٩١ ..... ٢. صوت آخر عن الفضول
- ٣٩٣ ..... ٣. التحام الظل بالظل
- ٣٩٧ ..... ٤. عن طقوس الهيبة المسرحية

- ٤٠١ ..... ٥. الباب المحترق
- ٤٠٧ ..... ٦. مريئة عمر
- ٤١٥ ..... • فهرس الجزء الثاني